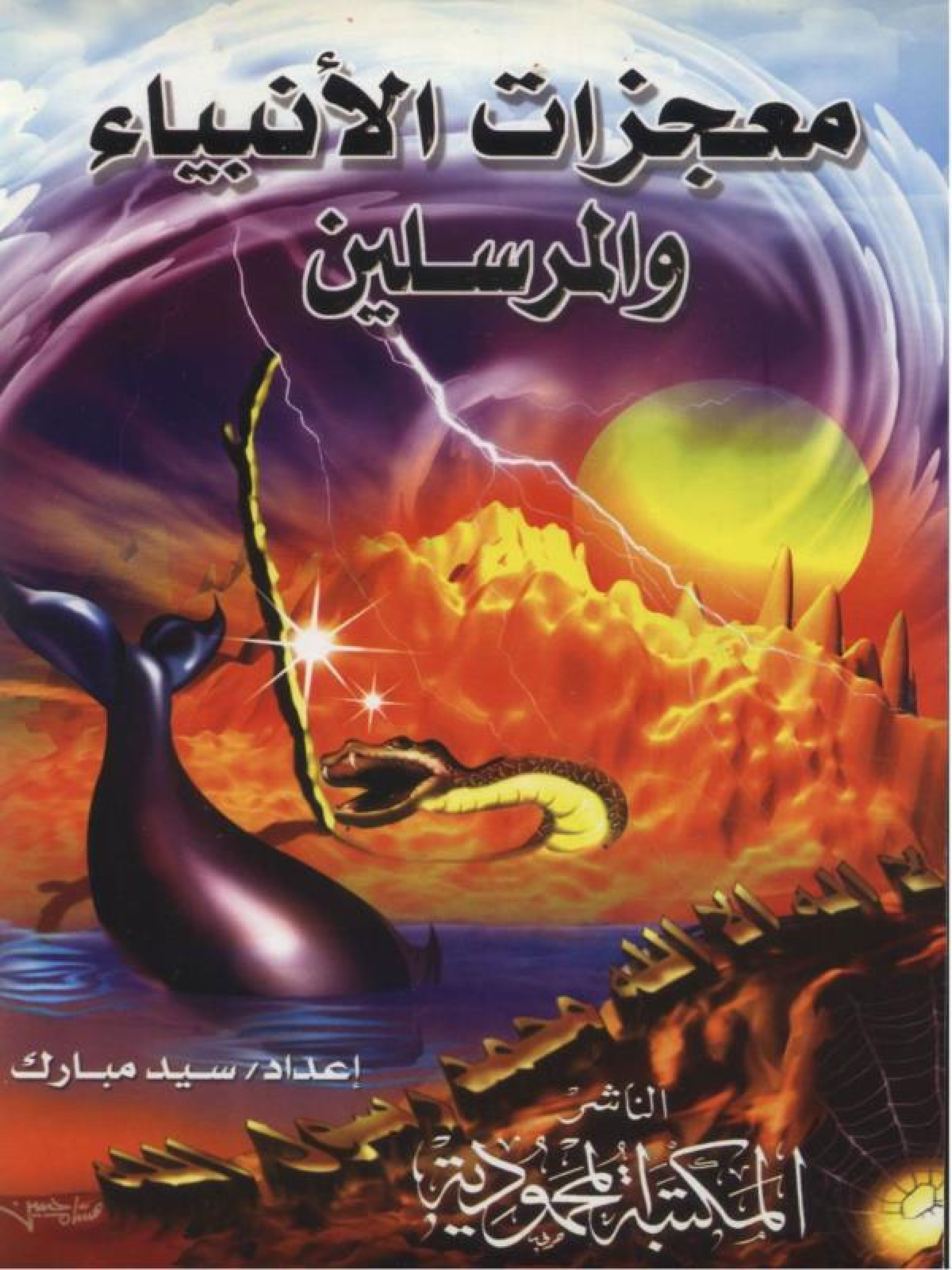
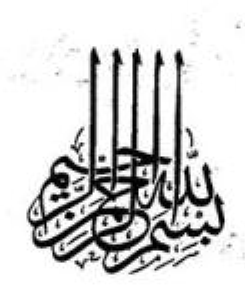

معجزات الأنبياء
والمرسلين
إعداد/ سيد مبارك
الناشر
المكتبة المحمودية

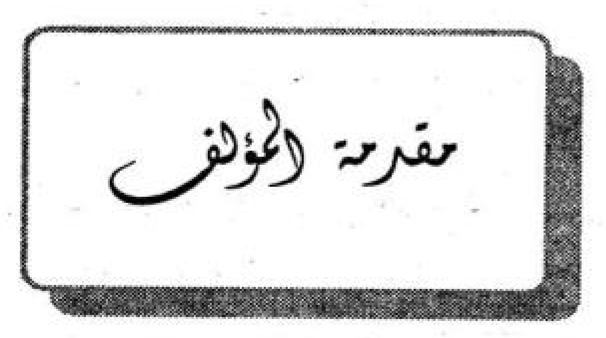


وقل رب زدني علما

الناشر
المكتبة المحمودية
القاهرة - ميدان الأزهر
ت/٥١٠٣٠٦٧
ت/٥١٤٥٣٢٠

دار
البيان للطباعة
تليفون ٢٩٧٠٢٨٠٠

رقم الإيداع
٢٠٠٤/١٧٣٨



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ .

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ .

[الأحزاب : ٧٠ - ٧١] .

أما بعد ... أخي القارئ

بين يديك كتاب يحتوي على معجزات الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين طلب مني الناشر كتابتها وجمعها . .

هذا وقد أكثرت من الاستشهاد بالقرآن ، والسنة الصحيحة ، واعتمدت في تفسير الآيات على كتاب الحافظ ابن كثير (البداية والنهاية) حيث أنه أفضل من

كتب عن الأنبياء والرسل فضلاً عن حرصه في عدم الإكثار من سرد الإسرائيليات إلا القليل وقد حرصت على تهذيب وحذف ما لا يليق ولا يصح أن يلحق بمقام النبوة والرسالة .

واكتفيت بذكر معجزات الأنبياء والرسل الذين جاء ذكرهم في القرآن بالاسم وهم خمسة وعشرين نبيًا ورسولاً (بالنبي الخاتم ﷺ) .

وهناك أنبياء جاءت معجزاتهم واضحة في كتاب الله تعالى فذكرتها بالشرح والتعليق .

وهناك أنبياء معجزاتهم غير ظاهرة فذكرت قصتهم لنأخذ منها العبرة والعظة .

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير .

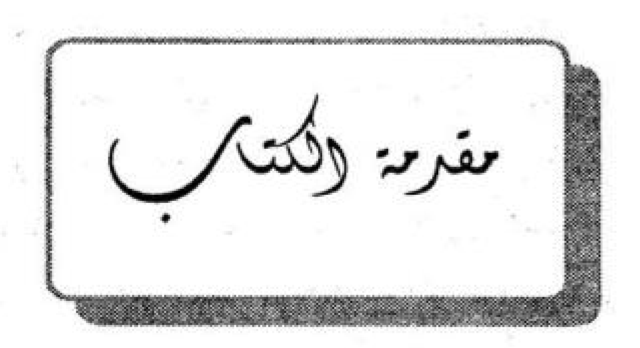
وكتبه

سيد مبارك (أبو بِلال)

٢٢ من محرم/ ١٤٢٣ هـ

٥ من إبريل ٢٠٠٢ م

❊ ❊ ❊



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على البشير النذير وخاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ..

ما هى المعجزة :

المعجزة : هى البرهان الذي يثبت صدق أى نبي أو رسول في دعواه النبوة أو الرسالة ، واشتقاق الكلمة من إعجاز الأمر الخارق الذي يقع على يد النبي أو الرسول للبشر أن يأتوا بمثله .

وإنما كانت المعجزة دليلاً على صدق النبي ﷺ في دعواه أنه مكلف من الله، ومختار منه بالنبوة والرسالة ، لأن اجتماع المعارضين له على تكذيبه ، وشحذ هممهم وتجميع كل قواهم ، لإثبات بطلان دعواه ، ثم يعجزون عن الإتيان بمثل الفعل الخارق الذي أتى به دليل على أن الفعل الذي جاء به ، أو جرى على يديه خارج عن قدرة البشر .

فإن معنى ذلك أنه لم يأت بهذا الفعل الخارق من عند نفسه ، لكنه مؤيد من الله ، وأن المعجزة حينئذ تكون كما قال علماء العقيدة : بمثابة إعلان الله عز وجل تصديقه لنبيه ، وقائمة مقام قوله « صدق عبدي فيما يبلغ عنى » ؛ لأن الذي يستطيع أن يخرق النظام الكوني ، ويعطل قوانينه الثابتة المعتادة ، إنما هو خالق

النظام الكوني نفسه ، وواضع قوانينه ؛ لأنه وحده الذي يقدر على ذلك .

ولذلك تعرف المعجزة بأنها : أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعى النبوة تصديقًا له في دعواه مقرونة بالتحدى مع عدم المعارضة .

فلكي تعرف المعجزة وتتميز عن غيرها من الأمور الخارقة ، لابد أن تكون :

- خارقة للعادة أى خارقة للقوانين الكونية المعتادة والنواميس الكونية الثابتة ، كعدم إحراق النار ، وإحياء الموتى ، وقلب العصا حية تسعى .
- أن تقع على يد نبي أو رسول يعلن دعواه النبوة لكى تتميز عن كرامة الأولياء .
- أن تجرى على وفق دعواه ، فتكون تصديقًا له حتى لا تكون إهانة لا معجزة .
- أن تقترن بالتحدى من قبل النبي لقومه ومن قبلهم له .
- أن يعجزوا عن معارضته ، فإذا أتوا بمثلها لا تكون معجزة ، بل تكون حينئذ من قبيل الأمور التى يمكن تعلمها ، والإتيان بمثلها كالسحر .

والمعجزة في حقيقة أمرها رسالة إلى العقل الإنساني ، لأنها عندما يقبلها العقل يقبل دلالتها على الفور على صدق الرسول ، ومن ثم تثبت نبوة النبي أو رسالة الرسول بعد قبول العقل لها ، واقتناعه بها .

وإذا كانت تثبت بالتواتر بعد ذلك حين تتناقلها الأجيال جيلا بعد جيل بواسطة عدد من الناس يستحيل عليهم التواطؤ على الكذب وقد قال العلماء فإن العلم بالتواتر هو أحد أقسام الضروريات .

ولما كانت المعجزة تستمد قوتها في الدلالة على صدق الرسالة من أنها خرق للنظام المعتاد ، فإن خرقها لما اعتاده الناس إنما يأتى من تصديق الأئمة الذين بلغوا

غاية العلم فيما اعتاده الناس ، لأنهم عجزوا عن الإتيان بمثل المعجزة .

ولذلك جاءت كل معجزة مما برع فيه الناس ، وبلغوا غاية العلم به في عصره، فإذا أذعن هؤلاء عرف أن ما أتى به الرسول ليس هو من قبيل ما علموه غاية العلم ، وإنما هو من باب آخر غير ما يعلمونه .

ومن ثم جاءت معجزة موسى عليه السلام أشبه بالسحر لكنها ليست منه ؛ لأن القوم كانوا قد برعوا في السحر ، فلما انقلبت العصا حية على يد موسى أمام السحرة الذين بلغوا منتهى العلم بالسحر عرفوا أن ما أتى به موسى ليس سحراً : ﴿ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٠] .

وكذلك جاءت معجزة عيسى عليه السلام أشبه بالطب ، لكنها كانت غيره ؛ لأن القوم كانوا قد برعوا في الطب ، فلما أحيا عيسى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص أمام الذين بلغوا غاية ومنتهى العلم في الطب ، عرفوا أن ما أتى به عيسى ليس من قبيل الطب ، وإنما هو أمر خارق للنظام العام .

وبالنسبة لمعجزة القرآن فقد جاءت متجاوزة حدود البشرية في أمرين : اللغة والتشريع .. انتهى .

(أ . د/ عبد المعطى محمد بيومي - نقلاً من موسوعة المفاهيم الإسلامية)

وهكذا يتبين لك أخي القارئ ..

أن المعجزة أمر خارق للقوانين والنواميس ، والفارق بينها وبين ما يفعله أهل الدجل والشعوذة ، أن الأخير يحدث بالتعلم والحيلة والخداع .

أما المعجزة : فهي أمر خارق لا لبس فيه ، ولا خداع ، وإنما أمر خارق للعادة .

وهناك سؤال آخر .. ما الفارق بين الكرامة والمعجزة ؟

الكرامة اصطلاحًا :

هي أمر خارق للعادة يظهره الله على يد عبد صالح ملتزم مخلص في إيمانه واعتقاده والمكرمة لا يتحدى بها كالمعجزة ، وقد تحدث على يد أكثر من ولي ولكن المعجزة أمر خارق لا تحدث إلا لنبي أو رسول مؤيد من الله تعالى . . هذا ولولا المعجزة للرسول أو النبي ما كانت الكرامة للولي .

وقد ورد في القرآن الكريم ذكر بعض الكرامات كما في قصة مريم حيث أنبتها الله تعالى نباتًا حسنًا ، وكان زكريا - عليه السلام - كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقًا كثيرًا .

وقصة أهل الكهف الذين لبثوا في الغار ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا دون طعام أو شراب فضرب الله على آذانهم .

كذلك ما ذكره القرآن عن الذى عنده علم الكتاب الذى أحضر عرش بلقيس من اليمن إلى بلاد الشام في طرفة عين وغير ذلك من الكرامات التى هي فضل من الله تعالى يمن بها على من يشاء من عباده المخلصين .

وعلى الصفحات التالية معجزات الأنبياء والرسل عليهم السلام أجمعين وأسأل الله تعالى أن يتقبلها خالصًا لوجهه الكريم إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير . .

❊ ❊ ❊

معجزة آدم عليه السلام

آدم عليه السلام هو أبو البشر وخليفة الله تعالى في أرضه وقد خلقه الله تعالى بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة تشريفًا وتكريمًا .

وفي ذلك قال الله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

أخبر تعالى أنه خاطب الملائكة قائلا لهم : **﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾** أعلم بما يريد أن يخلق من آدم وذريته الذين يخلف بعضهم بعضا .

كما قال : **﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ ﴾** [الأنعام : ١٦٥] فأخبرهم بذلك على سبيل التنويه بخلق آدم وذريته كما يخبر بالأمر العظيم قبل كونه .

فقالت الملائكة سائلين على وجه الاستكشاف والاستعلام عن وجه الحكمة لا على وجه الاعتراض والتنقيص لبني آدم والحسد لهم كما قد يتوهمه بعض جهلة المفسرين : **﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾** [البقرة : ٣٠] .

أى : أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هؤلاء ما لا تعلمون أى سيوجد

منهم الأنبياء والمرسلون والصديقون والشهداء .

وذكر ابن كثير أقوال عن سبب سؤال الملائكة والله أعلم بما كانت تقصد ملائكته بالسؤال : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [البقرة : ٣٠] ، أي نعبدك دائمًا لا يعصيك منا أحد فإن كان المراد بخلق هؤلاء أن يعبدون فها نحن لا نفتر ليلا ولا نهارًا . انتهى .

معجزة آدم عليه السلام :

ثم كانت معجزته عليه السلام بأن الله تعالى علمه أسماء كل شيء حتى أن الملائكة عجزت عن معرفة أسماء بعض الأشياء ، عندما طلب الله تعالى منهم ذلك .

قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ٣١ - ٣٢] . .

قال ابن كثير - رحمه الله - أقوال كثيرة للسلف الصالح عن هذه الأسماء ونذكر بعضها والله أعلم بحقيقة هذه الأسماء :

- قال ابن عباس هى هذه الأسماء التى يتعارف بها الناس إنسان ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وجمل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها .

- وقال مجاهد علمه اسم كل دابة وكل طير وكل شيء .

- وقال الربيع علمه أسماء الملائكة . .

ثم قال ابن كثير : والصحيح أنه علمه أسماء الذوات وأفعالها مكبرها ومصغرها . انتهى .

معجزة إدريس عليه السلام

قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم : ٥٦ - ٥٧] .

﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ ذكر ابن كثير - رحمه الله تعالى - في (البداية والنهاية) أقوال كثيرة وهذه بعضها والله تعالى أعلم بالصواب فهي من الإسرائيليات التى لا تصدق ولا تكذب . .

قال رحمه الله : (سأل ابن عباس كعبًا ، وأنا حاضر فقال له : ما قول الله تعالى لإدريس : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ .

فقال كعب : أما إدريس فإن الله أوحى إليه أنى أرفع لك كل يوم مثل جميع عمل بني آدم لعله من أهل زمانه فأحب أن يزداد عملا فأتاه خليل له من الملائكة فقال إن الله أوحى إلى كذا وكذا فكلم ملك الموت حتى ازداد عملاً فحمله بين جناحيه ثم صعد به إلى السماء فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت منحدرا فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس . فقال : وأين إدريس . قال: هو ذا على ظهري . فقال ملك الموت: فالعجب بعثت، وقيل لى : اقبض روح إدريس في السماء الرابعة فجعلت أقول كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض فقبض روحه هناك ، فذلك قول الله عز وجل ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾) انتهى . وإن صح موت إدريس عليه السلام في السماء تكون تلك خصوصية ومعجزة فما من إنسان إلا ويموت على الأرض والله تعالى أعلم .

معجزة نوح عليه السلام

نوح عليه السلام من أولي العزم من الرسل وهو أول الأنبيـاء بعد آدم وكانت له معجزة السفـينة وقد أمره الله تعالى أن يصنعها بعدمـا انتشر الفساد في الأرض وعبـد قومه الأصنام ولم ينجح في إقناعـهم بترك عبـادتها إلى عبـادة الله الواحد القهار وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض .

نوح عليه السلام يدعو قومه :

قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح : ٥ - ١٤] .

قال ابن كثير في البداية والنهاية :

(أنه دعـاهم إلى الله بأنـواع الدعـوة في الليل والنهـار والسـر والإجـهـار بالترغيب تارة ، والترهيب أخرى ، وكل هذا فلم ينجح فيهم ، بل استمر أكثرهم على الضلالة ، والطغـيان ، وعبادة الأصنام ، والأوثان ، ونصـبوا له العداوة في كل وقت ، وأوان ، وتنقـصـوه ، وتنقـصـوا من آمن بـه ، وتوعـدوهم بالرجم

والإخراج ، ونالوا منهم وبالغوا في أمرهم .

قال الملأ من قومه - أى السادة الكبراء منهم - : إنا لنراك في ضلال مبين .
﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٦١]
أي : لست كما تزعمون من أني ضال بل على الهدى المستقيم رسول من رب العالمين أى: الذي يقول للشيء كن فيكون أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون .

وهذا شأن الرسول أن يكون بليغًا أى فصيحًا ناصحًا أعلم الناس بالله عز وجل ، وقد تطاول الزمان ، والمجادلة بينه وبينهم ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ، [العنكبوت : ١٤].

أى : ومع هذه المدة الطويلة فما آمن به إلا القليل منهم وكان كل ما انقرض جيل ، وصوا من بعدهم بعدم الإيمان به ومحاربته ومخالفته وكان الوالد إذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه وصاه فيما بينه وبينه أن لا يؤمن بنوح أبدًا ما عاش ودائما ما بقي وكانت سجاياهم تأبى الإيمان واتباع الحق ولهذا قال ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا .

ولهذا ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ .

[هود : ٣٢ - ٣٣] .

أي : إنما يقدر على ذلك الله عز وجل فإنه الذي لا يعجزه شيء ولا يكترثه أمر بل هو الذي يقول للشيء كن فيكون .

ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم ، إن كان الله يريد أن يغويكم

هو ربكم وإليه ترجعون ، أي : من يرد الله فتنته ، فلن يملك أحد هدايته هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الفعال لما يريد وهو العزيز الحكيم العليم بمن يستحق الهداية ، ومن يستحق الغواية وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة) انتهى .

دعوة نوح عليه السلام على قومه :

لما يئس نوح من إيمان قومه بدعوته لهم بتوحيد الله تعالى دعا عليهم فلبى الله دعوته وأجابه .. قال تعالى :

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦ - ٢٧] .. وآيات أخرى كثيرة تبين دعاءه عليه السلام على قومه ..

قال ابن كثير :

(فاجتمع عليهم خطاياهم من كفرهم وفجورهم ودعوة نبيهم عليهم فعند ذلك أمره الله تعالى أن يصنع الفلك وهي السفينة العظيمة التي لم يكن لها نظير قبلها ولا يكون بعدها مثلها) انتهى .

معجزة السفينة :

أمر الله تعالى نوح عليه السلام بصناعة السفينة ، وكانت السفينة معجزة إلهية لا يعلم حجمها أو ماهيتها إلا الله تعالى .. وذكر ابن كثير خبراً عن هذه السفينة المعجزة فقال : قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [المؤمنون : ٢٦ - ٢٧] .

قال ابن كثير :

(أي بأمرنا لك وبمرأى منا لصنعتك لها ومشاهدتنا لذلك لنرشدك إلى الصواب في صنعتها ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ .

[المؤمنون : ٢٧] .

فتقدم إليه بأمره العظيم العالي أنه إذا جاء أمره وحل بأسه أن يحمل في هذه السفينة من كل زوجين اثنين من الحيوانات وسائر ما فيه روح من المأكولات وغيرها لبقاء نسلها وأن يحمل معه أهله أى أهل بيته إلا من سبق عليه القول منهم أي إلا من كان كافرًا فإنه قد نفذت فيه الدعوة التي لا ترد ووجب عليه حلول البأس الذي لا يرد وأمر أنه لا يراجعه فيهم إذا حل بهم ما يعاينه من العذاب العظيم الذي قد حتمه عليهم الفعال لما يريد .

وقد اختلف العلماء في عدة من كان معه في السفينة فعن ابن عباس كانوا ثمانين نفسًا معهم نساؤهم وعن كعب الأحبار كانوا اثنين وسبعين نفسا وقيل كانوا عشرة) انتهى ..

هذا وليعلم المسلم أنه لم يذكر في عددهم دليل من الكتاب أو السنة والله أعلم بعددهم ..

ثم قال - رحمه الله - :

(والمراد بالتنور عند الجمهور وجه الأرض . أى : نبعت الأرض من سائر أرجائها حتى نبعت التنانير التى هي محال النار وعن ابن عباس التنور عين في الهند وعن الشعبي بالكوفة وعن قتادة بالجزيرة) انتهى .

وكلها أقوال لا دليل عليها والله تعالى بها أعلم .

الطوفان والأمر بركوب السفينة :

ثم إتمامًا للمعجزة أمر الله تعالى نبيه نوح ومن معه من المؤمنين بركوب السفينة . .

قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ [الشعراء : ١١٨] .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

(أمره أن يحمد ربه على ما سخر له من هذه السفينة فنجاه بها وفتح بينه وبين قومه وأقر عينه ممن خالفه وكذبه كما قال تعالى ﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ [الزخرف : ١٢ - ١٤] .

وقد امتثل نوح عليه السلام هذه الوصية وقال : اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم) .

وقال الله تعالى : ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴾ [هود : ٤٢] ، وذلك أن الله تعالى أرسل من السماء مطرًا لم تعهده الأرض قبله ، ولا تمطره بعده ، كان كأفواه القرب ، وأمر الأرض فنبعت من جميع فجاجها ، وسائر أرجائها .

كما قال تعالى : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ

أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر : ١٠ - ١٣] .

والدسر : السائر . تجري بأعيننا ، أي : بحفظنا وكلاءتنا وحراستنا ومشاهدتنا لها جزاء لمن كان كفر .

وقال ابن كثير :

قال جماعة من المفسرين ارتفع الماء على أعلى جبل بالأرض خمسة عشر ذراعًا وهو الذي عند أهل الكتاب وقيل : ثمانين ذراعًا وعم جميع الأرض طولها والعرض سهلها وحزنها وجبالها وقفارها ورمالها ولم يبق على وجه الأرض ممن كان بها من الأحياء عين تطرف ولا صغير ولا كبير) انتهى . . والله تعالى أعلم بصحة هذه الأقوال .

❊ ❊ ❊

معجزة هود عليه السلام

بعث الله تعالى هوداً إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله وكانوا يعبدون الأصنام بعد الطوفان وكانت أصنامهم ثلاثة صدا وصمودا وهرا . .

قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ [هود : ٥٠] .

ولكنهم سخروا منه وكذبوه كما قال تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ ﴾ [الأعراف : ٦٦] .

قال ابن كثير - رحمه الله - :

(أي هذا الأمر الذي تدعونا إليه سفه بالنسبة إلى ما نحن عليه من عبادة هذه الأصنام التي يرتجى منها النصر والرزق ومع هذا نظن أنك تكذب في دعواك أن الله أرسلك : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

[الأعراف : ٦٧] .

أي : ليس الأمر كما تظنون ولا ما تعتقدون أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين .

والبلاغ يستلزم عدم الكذب في أصل المبلغ ، وعدم الزيادة فيه ، والنقص منه ، ويستلزم إبلاغه بعبارة فصيحة ، وجيزة ، جامعة ، مانعة ، لا لبس فيها ولا اختلاف ، ولا اضطراب .

وهو مع هذا البلاغ ، على هذه الصفة في غاية النصح لقومه ، والشفقة

عليهم ، والحرص على هدايتهم ، لا يبتغي منهم أجرا ، ولا يطلب منهم جعلا، بل هو مخلص لله - عز وجل - في الدعوة إليه ، والنصح لخلقه لا يطلب أجره ، إلا من الذي أرسله ، فإن خير الدنيا والآخرة كله في يديه وأمره إليه .

ولهذا قال : ﴿ **يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ [هود : ٥١] . .

أي : ما لكم عقل تميزون به وتفهمون أني أدعوكم إلى الحق المبين الذي تشهد به فطركم التي خلقتم عليها وهو دين الحق الذي بعث الله به نوحًا وأهلك من خالفه من الخلق وها أنا أدعوكم إليه ولا أسألكم أجرًا عليه بل أبتغي ذلك عند الله مالك الضر والنفع .

إصرار قوم هود عليه السلام على الكفر :

ما من نبي إلا ويكذبه قومه وهود عليه السلام اتهمه قومه بالجنون لما يطلبه منهم كما قال تعالى :

﴿ **قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ** ﴾ .

[هود : ٥٣ - ٥٤] .

قال ابن كثير في البداية والنهاية :

(يقولون ما جئتنا بخارق يشهد لك بصدق ما جئت به ، وما نحن بالذين نترك عبادة أصنامنا عن مجرد قولك بلا دليل أقمته ، ولا برهان نصبته وما نظن إلا أنك مجنون فيما تزعمه ، وعندنا إنما أصابك هذا ، أن بعض آلهتنا غضب

عليك فأصابك في عقلك فاعتراك جنون بسبب ذلك .

وهو قولهم : ﴿ إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۞ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنظِرُونِ ﴾ .

[هود : ٥٤ - ٥٥] .

وهذا تحد منه لهم وتبر من آلهتهم وتنقص منه لها وبيان أنها لا تنفع شيئًا ولا تضر وأنها جماد حكمها حكمه وفعلها فعله فإن كانت كما تزعمون من أنها تنصر وتنفع وتضر فها أنا برئ منها لاعن لها فكيدوني ثم لا تنظرون أنتم جميعًا بجميع ما يمكنكم أن تصلوا إليـه وتقدروا عليه ولا تؤخروني ساعـة واحدة ولا طرفة عين فإني لا أبالي بكم ولا أفكر فيكم ولا أنظر إليكم .

﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود : ٥٦] .

أي : أنا متـوكل على الله ومتأيد به وواثق بجنـابه الذي لا يضيع من لاذ به واستند إليـه فلست أبالي مخلوقًا سواه ولست أتوكل إلا عليـه ولا أعبد إلا إياه) انتهى .

معجزة هود عليه السلام :

لما تمادى قوم هود عـليه السلام في كـفرهم دعا عـليهم فأهلكهم الـله تعالى واستجاب لدعائه .

قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۞ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

[المؤمنون : ٣٩ - ٤١] .

وقال تعالى :

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَىٰ إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأحقاف : ٢٢ - ٢٥] .

قال ابن كثير :

(وقد ذكر الله تعالى خبر إهلاكهم في غير ما آية .

كقوله : ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٢] .

وكقوله : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ [هود : ٥٨ - ٦٠] .

وكقوله : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

[المؤمنون : ٤١] .

وقال تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء : ١٣٩ - ١٤٠] .

وذكر ابن كثير كيفية إهلاكهم والله به أعلم :

وأما تفصيل إهلاكهم فلما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ

قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

[الأحقاف : ٢٤] .

كان هذا أول ما ابتدأهم العذاب أنهم كانوا محلين مسنتين فطلبوا السقيا فرأوا عارضًا في السماء وظنوه سقيا رحمة ، فإذا هو سقيا عذاب .

ولهذا قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ﴾ . أي : من وقوع العذاب وهو قولهم : ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

[الأحقاف : ٢٢] .

﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ [الحاقة : ٧] .

أي : كوامل متتابعات . قيل : كان أولها الجمعة ، وقيل الأربعاء . والله أعلم .

﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٧] .

شبههم بأعجاز النخل التى لا رؤوس لها ، وذلك لأن الريح كانت تجيء إلى أحدهم فتحمله فترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه فيبقى جثة بلا رأس .

كما قال : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ .

[القمر : ١٩] .

أي : في يوم نحس عليهم مستمر عذابه عليهم ﴿ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ [القمر : ٢٠] .

ومَن قال إن اليوم النحس المستمر هو يوم الأربعاء ، وتشاءم به لهذا الفهم ، فقد أخطأ وخالف القرآن فإنه قال في الآية الأخرى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا

فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾ [فصلت : ١٦] .

ومعلوم أنها ثمانية أيام متتابعات فلو كانت نحسات في أنفسها لكانت جميع الأيام السبعة المندرجة فيها مشؤومة وهذا لا يقوله أحد وإنما المراد في أيام نحسات أى عليهم .

وقال تعالى : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ [الذاريات : ٤١] أي : التى لا تنتج خيراً فإن الريح المفردة لا تنثر سحابًا ولا تلقح شجراً بل هى عقيم لا نتيجة خير لها .

ولهذا قال : ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ .

[الذاريات : ٤٢] .

أي : كالشيء البالى الفاني الذي لا ينتفع به بالكلية) انتهى .

***

معجزة صالح عليه السلام

دعا سيدنا صالح عليه السلام قومه إلى توحيد الله تعالى وأيده الله بمعجزة الناقة ، ولكنهم عقروها وكفروا وفسقوا عن أمر ربهم .

قال تعالى في سورة الأعراف :

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ .

[الأعراف : ٧٣ - ٧٤] .

قال ابن كثير رحمه الله :

(وقد ذكر المفسرون : أن ثمودًا اجتمعوا يومًا في ناديهم ، فجاءهم رسول الله صالح - عليه السلام - فدعاهم إلى الله ، وذكرهم ، وحذرهم ، ووعظهم وأمرهم .

فقالوا له : إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة - وأشاروا إلى صخرة هناك - ناقة من صفتها كيت وكيت .

وذكروا أوصافًا سموها ونعتوها وتعنتوا فيها ، وأن تكون عشراء طويلة من صفتها كذا وكذا .

فقال لهم النبي صالح - عليه السلام - : أرأيتم إن أجبتكم إلى ما سألتم على الوجه الذي طلبتم ، أتؤمنون بما جئتكم به ، وتصدقوني فيما أرسلت به ؟

قالوا : نعم .

فأخذ عهودهم ، ومواثيقهم على ذلك .

ثم قام إلى مصلاه فصلى لله - عز وجل - ما قدر له ، ثم دعا ربه - عز وجل - أن يجيبهم إلى ما طلبوا .

فأمر الله - عز وجل - تلك الصخرة أن تنفظ عن ناقة عظيمة عشراء ، على الوجه المطلوب الذي طلبوا أو على الصفة التى نعتوا .

فلما عاينوها كذلك ، رأوا أمراً عظيمًا ، ومنظرا هائلا ، وقدرة باهرة ، ودليلاً قاطعًا ، وبرهانًا ساطعاً ، فآمن كثير منهم ، واستمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم .

ولهذا قال : ﴿ **فظلموا بها** ﴾ ، أى : جحدوا بها ولم يتبعوا الحق بسببها أي أكثرهم .

قال لهم صالح عليه السلام : ﴿ **هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ** ﴾ [الأعراف : ٧٣] ، أضافها لله سبحانه وتعالى تشريفًا ، وتعظيمًا كقوله بيت الله، وعبد الله ﴿ **لَكُمْ آيَةً** ﴾ [الأعراف : ٧٣] .

أي : دليلا على صدق ما جئتكم به ، فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب .

فاتفق الحال على أن تبقى هذه الناقة بين أظهرهم ترعى حيث شاءت من أرضهم ، وترد الماء يوماً بعد يوم .

وكانت إذا وردت الماء تشرب ماء البئر يومها ذلك ، فكانوا يرفعون حاجتهم من الماء في يومهم لغدهم .

ويقال : إنهم كانوا يشربون من لبنها كفايتهم - والله أعلم - ، ولهذا قال : ﴿ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الشعراء : ١٥٥] .

ولهذا قال تعالى :

﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ ﴾ [القمر : ٢٧] أي : اختبار لهم أيؤمنون بها أم يكفرون ؟ والله أعلم بما يفعلون .

﴿ فَارْتَقِبْهُمْ ﴾ [القمر : ٢٧] أي : انتظر ما يكون من أمرهم واصطبر على أذاهم فسيأتيك الخبر على جلية ، ﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴾ [القمر : ٢٨] .

فلما طال عليهم الحال هكذا ، اجتمع ملؤهم ، واتفق رأيهم على أن يعقروا هذه الناقة ؛ ليستريحوا منها ، ويتوفر عليهم ماؤهم ، وزين لهم الشيطان أعمالهم .

قال الله تعالى :

﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٧] ، وكان الذي تولى قتلها منهم رئيسهم قدار بن سالف بن جندع . .

وكان فعله ذلك باتفاق جميعهم فلهذا نسب الفعل إلى جميعهم كلهم .

وقال تعالى :

﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٧] .

فجمعوا في كلامهم هذا بين كفر بليغ من وجوه :

منها : أنهم خالفوا الله ورسوله في ارتكابهم النهي الأكيد في عقر الناقة التي جعلها الله لهم آية .

ومنها : أنهم استعجلوا وقوع العذاب بهم فاستحقوه من وجهين :

أحدهما : الشرط عليهم في قوله : ﴿ **ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب** ﴾ .

وفي آية ﴿ **عظيم** ﴾ ، وفي الأخرى ﴿ **أليم** ﴾ والكل حق .

والثاني : استعجالهم على ذلك .

ومنها : أنهم كذبوا الرسول الذي قد قام الدليل القاطع على نبوته وصدقه وهم يعلمون ذلك علما جازما ولكن حملهم الكفر والضلال والعناد على استبعاد الحق ووقوع العذاب بهم .

قال الله تعالى :

﴿ **تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ** ﴾ .

[هود : ٦٥] .

وذكروا أنهم لما عقروا الناقة كان أول من سطا عليها قدار بن سالف - لعنه الله - فعرقبها فسقطت إلى الأرض ، ثم ابتدروها بأسيافهم يقطعونها ، فلما عاين ذلك سقبها وهو ولدها شرد عنهم فعلا أعلى الجبل هناك ، ورغا ثلاث مرات ؛ فلهذا قال لهم صالح : ﴿ **تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ** ﴾ أي غير يومهم ذلك - والله تعالى أعلم .

فلم يصدقوه أيضًا في هذا الوعد الأكيد .

بل لما أمسوا هموا بقتله ، وأرادوا فيما يزعمون أن يلحقوه بالناقة :

﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ﴾ .

[النمل : ٤٩] .

أي لنحبسنه في داره مع أهله فلنقتلنه ثم نجحدن قتله وننكرن ذلك إن طالبنا أولياؤه بدمه .

ولهذا قالوا : ﴿ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ [النمل: ٤٩] . انتهى .

وجاءهم عذاب الله تعالى :

قال الله تعالى :

﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ .

[النمل : ٥٠ - ٥٢] .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - :

(وذلك أن الله تعالى أرسل على أولئك النفر الذين قصدوا قتل صالح حجارة رضختهم سلفا وتعجيلا قبل قومهم وأصبحت ثمود يوم الخميس ، وهو اليوم الأول من أيام النظرة ، ووجوههم مصفرة كما أنذرهم صالح عليه السلام ، فلما أمسوا نادوا بأجمعهم ألا قد مضى يوم من الأجل ، ثم أصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة فلما أمسوا نادوا ألا قد مضى يوم من الأجل .

ثم أصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع وهو يوم السبت ، ووجوههم مسودة ، فلما أمسوا نادوا ألا قد مضى الأجل .

فلما كان صبيحة يوم الأحد تحنطوا ، وتأهبوا وقعدوا ينظرون ماذا يحل بهم من العذاب ، والنكال والنقمة ، لا يدرون كيف يفعل بهم ، ولا من أى جهة يأتيهم العذاب ، فلما أشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء من فوقهم ورجفة شديدة من أسفل منهم ففاضت الأرواح وزهقت النفوس ، وسكنت الحركات ، وخشعت الأصوات ، وحقت الحقائق ، فأصبحوا في دارهم جاثمين جثثا لا أرواح فيها ولا حراك . .) انتهى .

واعلم أخي القارئ أن هذا من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب والله تعالى بها أعلم .



معجزة إبراهيم عليه السلام

إبراهيم عليه السلام هو خليل الرحمن - جل شأنه - وهو من أولي العزم من الرسل ، بعد نوح عليهما السلام ، وأيده الله تعالى بمعجزة وهى عدم الاحتراق في النار ، وجعلها عليه بردًا وسلامًا . . وها هي قصة المعجزة من البداية . .

تحطيمه عليه السلام للأصنام :

عزم خليل الله إبراهيم عليه السلام على تحطيم الأصنام التى يعبدها قومه ، وبدأ أولاً بتشكيكهم في نفعها .

كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٥١ - ٥٨] .

وبعد أن حطمها إلا كبيرًا لهم ، سألوه من فعل ذلك ؟ فلما أفحمهم وبين لهم ضلالهم لعبادة أحجار لا تنفع ولا تضر أجمعوا على إحراقه بالنار فكانت المعجزة .

قال تعالى :

﴿ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلايَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ ﴾ .

[الأنبياء : ٦٢ - ٧٠] .

قال ابن كثير :

(﴿ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ قيل معناه : هو الحامل لي على تكسيرها ، وإنما عرض لهم في القول ﴿ فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾ .

وإنما أراد بقوله هذا : أن يبادروا إلى القول أن هذه لا تنطق ، فيعترفوا بأنها جماد كسائر الجمادات .

﴿ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

أي : فعادوا على أنفسهم بالملامة .

فقالوا : إنكم أنتم الظالمون ، أي في تركها لا حافظ لها ولا حارس عندها . ثم نكسوا على رؤوسهم . .

قال قتادة : أدركت القوم حيرة سوء ، أي فأطرقوا .

ثم قالوا : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ ﴾ .

أي : لقد علمت يا إبراهيم أن هذه لا تنطق ، فكيف تأمرنا بسؤالها ؟

فعند ذلك قال لهم الخليل عليه السلام :

﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلايَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ .

[الأنبياء : ٦٦ - ٦٧] .

كما قال :

﴿ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾ [الصافات : ٩٤] .

قال مجاهد : يسرعون قال : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ .

[الصافات : ٩٥] .

أي : كيف تعبدون أصنامًا أنتم تنحتونها من الخشب والحجارة وتصورونها وتشكلونها كما تريدون .

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٦] .

أي : أنكم مخلوقون ، وهذه الأصنام مخلوقة ، فكيف يعبد مخلوق لمخلوق مثله ؟ فإنه ليس عبادتكم لها بأولى من عبادتها لكم ، وهذا باطل فالآخر باطل للتحكم ، إذ ليست العبادة تصلح ، ولا تجب ، إلاّ للخالق وحده لا شريك له .

معجزة الخليل :

(يا نار كوني برداً وسلامًا على إبراهيم)

بعدما أفحمهم إبراهيم عليه السلام ، عدلوا عن الجدال والمناظرة أخذتهم حمية الانتصار لآلهتهم . .

قال ابن كثير :

(لما انقطعوا وغلبوا ولم تبق لهم حجة ولا شبهة عدلوا إلى استعمال قوتهم وسلطانهم ؛ لينصروا ما هم عليه من سفههم وطغيانهم ، فكادهم الرب جل جلاله وأعلى كلمته ودينه وبرهانه .

كما قال تعالى :

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ ﴾ .

[الأنبياء : ٦٨ - ٧٠] .

وذلك أنهم شرعوا يجمعون حطبًا من جميع ما يمكنهم من الأماكن ، فمكثوا مدة يجمعون له ، حتى أن المرأة منهم كانت إذا مرضت . تنذر لئن عوفيت لتحملن حطبًا لحريق إبراهيم .

ثم عمدوا إلى جوبة عظيمة ، فوضعوا فيها ذلك الحطب ، وأطلقوا فيها النار فاضطربت وتأججت والتهبت وعلاها شرر لم ير مثله قط .

ثم وضعوا إبراهيم عليه السلام في كفة منجنيق ، فلما وضع الخليل عليه السلام في كفة المنجنيق مقيدًا مكتوفًا ، ثم ألقوه منه إلى النار ، قال : حسبنا الله ونعم الوكيل .

كما روى البخاري عن ابن عباس أنه قال :

« حسبنا الله ونعم الوكيل ، قالها إبراهيم حين ألقى في النار ، وقالها محمد حين قيل له : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا ، وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ، لم يمسسهم سوء » انتهى .

قصة الذبيح والفداء العظيم :

وهذه معجزة أخرى لخليل الله إبراهيم لقد رأى رؤيا في المنام ، رأى أنه يذبح ابنه البكر إسماعيل عليه السلام فلما شرع في ذبحه ، إذا بالسكين لا تستجيب .

وإليك القصة وتفسير ابن كثير رحمه الله تعالى لها :

يذكر تعالى عن خليله إبراهيم : أنه لما هاجر من بلاد قومه سأل ربه أن يهب له ولدًا صالحًا فبشره الله تعالى بغلام حليم وهو إسماعيل - عليه السلام - لأنه أول من ولد على رأس ست وثمانين سنة من عمر الخليل ، وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل الملل ؛ لأنه أول ولده وبكره.

وقوله : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾ [الصافات : ١٠٢] أي : شب وصار يسعى في مصالحه كأبيه ، فلما كان هذا رأى إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يؤمر بذبح ولده . .

وهذا اختبار من الله عز وجل لخليله في أن يذبح هذا الولد العزيز ، الذي جاءه على كبر وقد طعن في السن بعد ما أمر بأن يسكنه هو وأمه في بلاد قفر ، وواد ليس به حسيس ولا أنيس ، ولا زرع ولا ضرع ، فامتثل أمر الله في ذلك وتركها هناك ، ثقة بالله وتوكلاً عليه ، فجعل الله لهما فرجا ومخرجًا ورزقهما من حيث لا يحتسبان .

ثم لما أمر بعد هذا كله بذبح ولده هذا الذى قد أفرده عن أمر ربه ، وهو بكره ووحيده . . الذى ليس له غيره ، أجاب ربه وامتثل أمره وسارع إلى طاعته ، ثم عرض ذلك على ولده ليكون أطيب لقلبه وأهون عليه ،من أن يأخذه قسرا ويذبحه قهرًا .

﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ .

[الصافات : ١٠٢] .

فبادر الغلام الحليم سر والده الخليل إبراهيم ، فقال : ﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٢] .

وهذا الجواب في غاية السداد والطاعة للوالد ولرب العباد ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ [الصافات : ١٠٣] .

قيل : ﴿ أَسْلَمَا ﴾ ، أى : استسلما لأمر الله وعزما على ذلك .

وقيل : هذا من المقدم والمؤخر والمعنى : ﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ ، أى : ألقاه على وجهه .

قيل : أراد أن يذبحه من قفاه لئلا يشاهده في حال ذبحه .

قاله ابن عباس وغيره .

وقال السدى وغيره : أمر السكين على حلقه فلم تقطع شيئًا . انتهى .

والله تعالى أعلم بصحة هذه الأقوال . .

واستطرد ابن كثير في تفسيره فقال :

فعند ذلك نودي من الله عز وجل : ﴿ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾ .

[الصافات : ١٠٤ - ١٠٥] .

أى : قد حصل المقصود من اختبارك وطاعتك ومبادرتك إلى أمر ربك ، وبذلك ولدك للقربان ، كما سمحت ببدنك للنيران ، وكما مالك مبذول للضيفان .

ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾ [الصافات : ١٠٦] ، أى : الاختبار الظاهر البين .

وقوله :

﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات : ١٠٧] .

أي : وجعلنا فداء ذبح ولده ما يسره الله تعالى له من العوض عنه والمشهور عن الجمهور أنه كبش أبيض أعين أقرن .

❊ ❊ ❊

معجزة لوط عليه السلام

لوط عليه السلام هو ابن أخي إبراهيم خليل الله وكان قومه يرتكبون الفواحش ، وهى إتيان الرجال في أدبارهم ، ويتركون ما أحل الله تعالى من نسائهم .

هذا فضلاً عن كفرهم وفسقهم فدعاهم لوط إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ونهاهم عن تعاطي هذه المحرمات والفواحش والمنكرات ، فتمادوا على ضلالهم وطغيانهم واستمروا على فجورهم وكفرانهم .

وقالوا له فيما قالوا : ﴿ ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

[العنكبوت : ٢٩] .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

فعند ذلك دعا عليهم نبيهم الكريم ، فسأل من رب العالمين وإله المرسلين أن ينصره على القوم المفسدين ، فغار الله لغيرته وغضب لغضبته ، واستجاب لدعوته وأجابه إلى طلبته ، وبعث رسله الكرام وملائكته العظام ، فمروا على الخليل إبراهيم وبشروه بالغلام العليم وأخبروه بما جاؤوا له من الأمر الجسيم ، والخطب العميم ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ .

[الذاريات : ٣١ - ٣٤] .

وقال : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ

إنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ * قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣١ - ٣٢] .

وجاء أمر الله تعالى :

واستطرد ابن كثير في شرحه فقال رحمه الله تعالى :

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود : ٨٢ - ٨٣] . والسجيل : فارسي معرب ، وهو الشديد الصلب القوي .

منضود ، أي : يتبع بعضها بعضًا في نزولها عليهم من السماء .

مسومة ، أي : معلمة مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذي يهبط عليه، فيدمغه .

كما قال : ﴿ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الذاريات : ٣٤] .

وكما قال تعالى : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴾ .

[الشعراء : ١٧٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ * فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾ [النجم : ٥٣ - ٥٥] .

يعني قلبها ، فأهوى بها منكسة عاليها سافلها ، وغشاها بمطر من حجارة من سجيل متتابعة مرقومة على كل حجر اسم صاحبه الذي سقط عليه من الحاضرين منهم في بلدهم ، والغائبين عنها من : المسافرين ، والنازحين ، والشاذين منها) انتهى .

معجزة شعيب عليه السلام

كان أهل مدين قومًا عربًا يسكنون مدينتهم مدين ، وكانوا كفارًا يقطعون السبيل ، ويخيفون المارة ، ويعبدون الأيكة ، وهى شجرة من الأيك ، وكانوا من أسوأ الناس معاملة ، يبخسون المكيال والميزان ويطففون فيهما ، فبعث الله فيهم رجلاً منهم ، وهو رسول الله شعيب - عليه السلام - فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ونهاهم عن تعاطى هذه الأفاعيل القبيحة ، من بخس الناس أشيائهم وإخافتهم لهم في سبلهم وطرقاتهم ، فآمن به بعضهم وكفر أكثرهم حتى أحل الله بهم البأس الشديد ، وليس له معجزة ظاهرة وإليك قصته مع قومه باختصار .

بعثة شعيب عليه السلام إلى أهل مدين :

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

كان بعض السلف يسمى شعيب (خطيب الأنبياء) يعنى لفصاحته وعلو عبارته وبلاغته في دعاية قومه إلى الإيمان بالله تعالى .

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ٨٥] .

أى دلالة وحجة واضحة ، وبرهان قاطع على صدق ما جئتكم به ، وأنه أرسلنى وهو ما أجرى الله على يديه من المعجزات ، التى لم تنقل إلينا تفصيلها

وإن كان هذا اللفظ دل عليها إجمالاً .

قالوا : ﴿ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ .

[هود : ٩١] .

وقولهم : ﴿ وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ [هود : ٩١] .

وهذا من كفرهم البليغ وعنادهم الشنيع ، حيث قالوا : ﴿ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ ﴾ أى ما نفهمه ولا نعقله ؛ لأنا لا نحبه ولا نريده ، وليس لنا همة إليه ولا إقبال عليه .

وقولهم : ﴿ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ ، أى : مضطهداً مهجوراً .

﴿ وَلَوْلا رَهْطُكَ ﴾ ، أى : قبيلتك وعشيرتك فينا .

﴿ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ ﴾ .

[هود : ٩١ - ٩٢] .

أى تخافون قبيلتى وعشيرتى وتراعونى بسببهم ولا تخافون جنبة الله ولا تراعونى لأنى رسول الله ، فصار رهطى أعز عليكم من الله .

﴿ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾ [هود : ٩٢] . أى : جانب الله وراء ظهوركم .

﴿ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [هود : ٩٢] ، أى : هو عليم بما تعملونه وما تصنعونه ، محيط بذلك كله ، وسيجزيكم عليه يوم ترجعون إليه .

﴿ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ [هود : ٩٣] .

وهذا أمر تهديد شديد ووعيد أكيد ، بأن يستمروا على طريقتهم ومنهجهم

وشاكلتهم ، فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ، ومن يحل عليه الهلاك والبوار ﴿ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ أى : في هذه الحياة الدنيا .

﴿ ويحل عليه عذاب مقيم ﴾ ، أي : في الأخرى ﴿ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ﴾ أى : منى ومنكم فيما أخبر وبشر وحذر .

﴿ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ .

وهذا كقوله : ﴿ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ .

[الأعراف : ٨٧] .

دعائه عليه السلام على قومه :

لما يأس من إيمانهم واستجابتهم لدعوته ، دعا عليهم وقد هددوه بطرده هو ومن آمن معه .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : قال تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [الأعراف : ٨٨] .

طلبوا بزعمهم أن يردوا من آمن منهم إلى ملتهم ، فانتصب شعيب للحاجة عن قومه فقال : ﴿ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٨] .

أى : هؤلاء لا يعودون إليكم اختيارا وإنما يعودون إليه إن عادوا اضطرارا مكرهين ، وذلك لأن الإيمان إذا خالطته بشاشة القلوب ، لا يسخطه أحد ولا يرتد أحد عنه ، ولا محيد لأحد منه .

ولهذا قال تعالى : ﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ [الأعراف : ٨٩] أى فهو كافينا وهو العاصم لنا ، وإليه ملجؤنا في جميع أمرنا .

ثم استفتح على قومه واستنصر ربه عليهم في تعجيل ما يستحقونه إليهم ، فقال : ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [الأعراف:٨٩]. أى الحاكمين فدعا عليهم ، والله لا يرد دعاء رسله ، إذا استنصروه على الذين جحدوه وكفروه ، ورسوله خالفوه .

وجاءهم عذاب الله تعالى .

استطرد ابن كثير في تفسيره فقال :

ومع هذا صمموا على ما هم عليه مشتملون وبه متلبسون : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾ .

[الأعراف : ٩٠] .

قال الله تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ .

[الأعراف : ٩١] .

ذكر في سورة الأعراف : أنهم أخذتهم رجفة ، أى : رجفت بهم أرضهم وزلزلت زلزالا شديدًا ، أزهقت أرواحهم من أجسادها ، وصيرت حيوانات أرضهم كجمادها ، وأصبحت جثثهم جاثية لا أرواح فيها ولا حركات بها ، ولا حواس لها .

وقد جمع الله عليهم أنواعًا من العقوبات ، وصنوفًا من المثلات ، وأشكالا من البليات ، وذلك لما اتصفوا به من قبيح الصفات ، سلط الله عليهم رجفة

شديدة ، أسكنت الحركات ، وصيحة عظيمة أخمدت الأصوات ، وظلمة أرسل الله عليهم منها شرر النار من سائر أرجائها ، والجهات ، ولكنه تعالى أخبر عنهم في كل سورة بما يناسب سياقها ويوافق طباقها .

ففى سياق قصة الأعراف أرجفوا نبى الله وأصحابه وتوعدوهم بالإخراج من قريتهم أو ليعودن في ملتهم راجعين .

فقال تعالى : ﴿ **فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ** ﴾ .

[الأعراف : ٩١] .

فقابل الإرجاف بالرجفة ، والإخافة بالخيفة ، وهذا مناسب لهذا السياق .

وأما في سورة الشعراء ، فذكر أنه أخذهم عذاب يوم الظلة ، وكان ذلك إجابة لما طلبوا وتقريبًا إلى ما إليه رغبوا .

فإنهم قالوا : ﴿ **إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * وَمَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ .

[الشعراء : ١٨٥ ـ ١٨٨] .

قال الله تعالى وهو السميع العليم : ﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ [الشعراء : ١٨٩] .

وقوله : ﴿ **فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ ذكروا أنهم أصابهم حر شديد ، وأسكن الله هبوب الهواء عنهم سبعة أيام .

فكان لا ينفعهم مع ذلك ماء ولا ظل ولا دخولهم في الإسراب فهربوا من محلتهم إلى البرية ، فأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها ليستظلوا بظلها ، فلما تكاملوا فيه أرسلها الله ترميهم بشرر وشهب ، ورجفت بهم الأرض ، وجاءتهم

صيحة من السماء ، فأزهقت الأرواح وخرجت الأشباح - والله أعلم - .

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ * الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

[الأعراف : ٩١ - ٩٢] .

ونجى الله شعيبًا ومن معه من المؤمنين ، كما قال تعالى : وهو أصدق القائلين : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ [هود : ٩٤ - ٩٥] .

❊ ❊ ❊

معجزة إسماعيل عليه السلام

سيدنا إسماعيل هو الولد البكر لإبراهيم الخليل من هاجر القبطية المصرية - عليها السلام - وهو الذبيح وليس إسحاق - عليه السلام - كما يزعم اليهود ، من حسدهم وحقدهم على هذه الأمة وها هي قصته .

ثناء الله عليه :

قال ابن كثير :

أثنى الله تعالى عليه ، ووصفه بالحلم والصبر ، وصدق الوعد والمحافظة على الصلاة ، والأمر بها لأهله ليقيهم العذاب ، مع ما كان يدعو إليه من عبادة رب الأرباب .

قال تعالى : ﴿ **فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الصافات : ١٠١ - ١٠٢] .

فطاوع أباه على ما إليه دعاه ، ووعده بأن سيصبر ، فوفى بذلك بأن سيصبر، وصبر على ذلك .

وقال تعالى : ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا** ﴾ .

[مريم : ٥٤ - ٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ * وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الأَخْيَارِ ﴾ .

[ص : ٤٥ - ٤٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٥ - ٨٦] .

إسماعيل والعرب العاربة :

إسماعيل - عليه السلام - أول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة .

قال ابن كثير :

(وكان قد تعلمها من العرب العاربة ، الذين نزلوا عندهم بمكة من جرهم ، والعماليق ، وأهل اليمن ، من الأمم المتقدمين ، من العرب قبل الخليل عليه السلام . .) انتهى .

وفي معجزة أبيه الخليل - عليهما السلام - عند ذبحه معجزة له أيضًا والله أعلم .

***

معجزة إسحاق عليه السلام

ذكر ابن كثير إنه ولد ولأبيه مائة سنة ، بعد أخيه إسماعيل بأربع عشرة سنة، وكان عمر أمه سارة حين بشرت به تسعين سنة - والله أعلم - . .

هذا وليس في قصته معجزة ظاهرة ، ولكنه نبيًا من الصالحين كما قال الله تعالى : ﴿ **وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ** ﴾ [الصافات : ١١٢ - ١١٣] .

وقد ذكره الله تعالى بالثناء عليه ، في غير ما آية من كتابه العزيز ، وإليك قصته بعد تهذيبها كما جاءت في البداية والنهاية للحافظ ابن كثير .

زواجه عليه السلام :

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

وذكر أهل الكتاب أن إسحاق لما تزوج رفقا بنت بتوابيل في حياة أبيه ، كان عمره أربعين سنة وأنها كانت عاقرًا ، فدعا الله لها فحملت فولدت غلامين توأمين.

أولهما : سموه عيصو ، وهو الذى تسميه العرب : العيص ، وهو والد الروم.

والثاني : خرج وهو آخذ بعقب أخيه فسموه يعقوب وهو إسرائيل الذى ينتسب إليه بنو إسرائيل - والله أعلم - .

إسحاق ليس الذبيح :

اعلم أخي القارئ إسماعيل هو الذبيح وليس إسحاق عليهما السلام ، وهذا ما تدل عليه آيات الله تعالى ، وليس كما يزعم اليهود ، وإليك ما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية قال :

(إن اليهود يزعمون أن الذبيح هو إسحاق ، وإنما حملهم على هذا حسد العرب فإن إسماعيل أبو العرب الذين يسكنون الحجاز الذين منهم رسول الله ﷺ، وإسحاق والد يعقوب وهو إسرائيل الذي ينتسبون إليه ، فأرادوا أن يجروا هذا الشرف إليهم فحرفوا كلام الله وزادوا فيه ، وهم قوم بهت ولم يقروا بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء .

وقد قال بأنه إسحاق طائفة كثيرة من السلف وغيرهم وإنما أخذوه والله أعلم من كعب الأحبار ، أو صحف أهل الكتاب وليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز ، ولا يفهم هذا من القرآن بل المفهوم بل المنطوق بل النص عند التأمل على أنه إسماعيل .

وما أحسن ما استدل به محمد بن كعب القرظى على أنه إسماعيل وليس بإسحاق من قوله : ﴿ **فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ .

قال فكيف تقع البشارة بإسحاق وأنه سيولد له يعقوب ثم يؤمر بذبح إسحاق وهو صغير ، قبل أن يولد له هذا لا يكون ؛ لأنه يناقض البشارة المتقدمة والله أعلم .

❊ ❊ ❊

معجزة يعقوب عليه السلام

لم يجعل ابن كثير قصة يعقوب منفصلة ، وإنما ذكر جزءًا منها في سياق حديثه عن إسحاق .

والجزء الآخر في قصة يوسف عليهما السلام .

هذا وفي قصة إسحاق إسرائيليات شاذة لا تليق بمقام الأنبياء ، ولهذا أعرضت عنها ، وسوف يجد القارئ في سياق قصة يوسف ما يصح عنه والله المستعان .

❊ ❊ ❊

معجزة يوسف عليه السلام

هو الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم ، يوسف بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم عليهم السلام أجمعين ، وقصته من أحسن القصص بنص القرآن .

قال تعالى : ﴿ **الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ** ﴾ [يوسف : ١ - ٣] .

نعم ..

لا ريب أن قصة يوسف من أحسن القصص ، لما فيها من عبر وعظات وما تحتويه من مشاعر الحب والحقد والحسد من جهة ، وتقوى الله ، والسماحة والرحمة ، والشكر من جهة أخرى .

رؤيا يوسف عليه السلام :

قال تعالى : ﴿ **إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ .

[يوسف : ٤ - ٦] .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - :

قال المفسرون وغيرهم : رأى يوسف عليه السلام وهو صغير قبل أن يحتلم كأن أحد عشر كوكبًا وهم إشارة إلى بقية إخوته والشمس والقمر وهما عبارة عن أبويه قد سجدوا له ، فهاله ذلك فلما استيقظ قصها على أبيه فعرف أبوه أنه سينال منزلة عالية ورفعة عظيمة في الدنيا والآخرة بحيث يخضع له أبواه وإخوته فيها ، فأمره بكتمانها وأن لا يقصها على إخوته كيلا يحسدوه ويبغوا له الغوائل ويكيدوه بأنواع الحيل والمكر .

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ ، أي : وكما أراك هذه الرؤيا العظيمة فإذا كتمتها يجتبيك ربك ، أي يخصك بأنواع اللطف والرحمة .

﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ ، أي : يفهمك من معانى الكلام وتعبير المنام ما لا يفهمه غيرك .

﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ ، أي : بالوحى إليك .

﴿ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ ، أي : بسببك ويحصل لهم بك خير الدنيا والآخرة.

﴿ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ﴾ ، أي : ينعم عليك ويحسن إليك بالنبوة كما أعطاها أباك يعقوب وجدك إسحاق ووالد جدك إبراهيم الخليل ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

كما قال تعالى : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ انتهى .

كيد إخوة يوسف له ورميه في الجب :

بلغ حقد إخوة يوسف له مبلغًا عظيمًا ؛ لتفضيل أبيهم إياه عنهم وعقدوا العزم على التخلص منه ، وقد ذكر الله كيدهم في كتابه الكريم . .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ * إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ .

[يوسف : ٧ - ١٠] .

رعاية الله ورحمته ليوسف :

ورغم كيد إخوته له ومحاولة قتله إلا أن الله تعالى شمله برعايته ورحمته ، ليقضى أمرًا كان مفعولاً .

قال ابن كثير في البداية والنهاية :

﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ * وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

[يوسف : ١٩ - ٢١] .

يخبر تعالى عن قصة يوسف حين وضع في الجب أنه جلس ينتظر فرج الله ولطفه به ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾ أى مسافرون .

قال أهل الكتاب : كانت بضاعتهم من الفستق والصنوبر والبطم قاصدين ديار مصر من الشام فأرسلوا بعضهم ليستقوا من ذلك البئر ، فلما أدلى أحدهم دلوه تعلق فيه يوسف .

فلما رآه ذلك الرجل : ﴿ قَالَ يَا بُشْرَىٰ ﴾ ، أى : يا بشارتى .

﴿ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ﴾ ، أى : أوهموا أنه معهم غلام من جملة متجرهم .

﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [يوسف : ١٩] ، أى . هو عالم بما تمالأ عليه إخوته وبما يسره واجدوه من أنه بضاعة لهم .

ومع هذا لا يغيره تعالى لما له في ذلك من الحكمة العظيمة والقدر السابق والرحمة بأهل مصر بما يجرى الله على يدى هذا الغلام ، الذى يدخلها في صورة أسير رقيق ثم بعد هذا يملكه أزمة الأمور وينفعهم الله به في دنياهم وأخراهم بما لا يحد ولا يوصف ، ولما استشعر إخوة يوسف بأخذ السيارة له لحقوهم وقالوا هذا غلامنا أبق منا فاشتروه منهم .

﴿ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ ، أى : قليل نزر وقيل هو الزيف .

﴿ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ [يوسف : ٢٠] .

قال ابن مسعود وابن عباس وغيرهما : باعوه بعشرين درهمًا اقتسموها درهمين درهمين .

وقال مجاهد : اثنان وعشرون درهمًا .

وقال عكرمة ومحمد بن إسحاق : أربعون درهمًا فالله أعلم .

﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴾ ، أى : أحسنى إليه .

﴿ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ ، وهذا من لطف الله به ورحمته وإحسانه إليه بما يريد أن يؤهله له ويعطيه من خيرى الدنيا والآخرة .

قالوا : وكان الذى اشتراه من أهل مصر عزيزها وهو الوزير بها الذى الخزائن مسلمة إليه .

وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ ﴾، أى : وكما قيضنا هذا العزيز وامرأته يحسنان إليه ويعتنيان به مكنا له في أرض مصر .

﴿ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾ ، أى : فهمها وتعبير الرؤيا من ذلك.

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾ ، أى : إذا أراد شيئًا فإنه يقيض له أسبابا وأمورًا لا يهتدى إليها العباد .

ولهذا قال تعالى ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٢١] ولما بلغ أشده آتيناه حكمًا وعلمًا وكذلك نجزى المحسنين فدل على أن هذا كله كان وهو قبل بلوغ الأشد . وهو حد الأربعين الذى يوحى الله فيه إلى عباده النبيين عليهم الصلاة والسلام) انتهى .

يوسف ومراودة امرأة العزيز :

أحبت امرأة العزيز يوسف وراودته عن نفسه ، ولكنه استعصم وأراد الفرار ، فأمسكت بقميصه ومزقته في الوقت الذى دخل فيه العزيز فبرئت نفسها واتهمته ، ولكن الله قضى أمرًا كان مفعولاً ، فدخل السجن ، وبدأت بشائر معجزته تتحقق . .

قال تعالى : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

[يوسف : ٢٣] .

يوسف عليه السلام في السجن :

وفي السجن لقى يوسف رجلان رأى كل واحد منهما رؤيا ففسرها لهما . .

قال تعالى : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ * وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٣٤ - ٣٦] .

قال ابن كثير :

يذكر تعالى قال : ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ﴾ ، قالوا : وهو الساقى .

﴿ وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ ﴾ قالوا : وهو الخباز .

﴿ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [يوسف : ٤٠] ، أى : وقع هذا لا محالة ووجب كونه على حاله .

﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [يوسف : ٤٢] .

يخبر تعالى أن يوسف عليه السلام قال للذى ظنه ناجيًا منهما ، وهو الساقى ﴿ اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ ، يعنى : اذكر أمرى وما أنا فيه من السجن بغير جرم عند الملك ، وفي هذا دليل على جواز السعى في الأسباب ، ولا ينافى ذلك التوكل على رب الأرباب .

وقوله : ﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾ أى فأنسى الناجى منهما الشيطان أن يذكر ما وصاه به يوسف عليه السلام .

فلبث يوسف في السجن بضع سنين والبضع ما بين الثلاث إلى التسع ، انتهى .

رؤيا الملك وتأويل يوسف لها :

شاء الله تعالى أن يرى الملك رؤيا ، لم يستطع تفسيرها غير يوسف عليه السلام . .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ * قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ * وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ .

[يوسف : ٤٣ - ٤٩] .

قال ابن كثير :

بذل يوسف عليه السلام ما عنده من العلم بلا تأخر ولا شرط ولا طلب الخروج سريعًا بل أجابهم إلى ما سألوا وعبر لهم ما كان من منام الملك ، الدال على وقوع سبع سنين من الخصب ويعقبها سبع جدب .

﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ ﴾ ، يعني : يأتيهم الغيث والخصب والرفاهية .

﴿ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ ، يعني : ما كانوا يعصرونه من الأقصاب والأعناب والزيتون والسمسم وغيرها .

فعبر لهم وعلى الخبر دلهم ، وأرشدهم إلى ما يعتمدونه في حالتى خصبهم وجدبهم ، وما يفعلونه من ادخار حبوب سنى الخصب في السبع الأول في سنبله إلا ما يرصد بسبب الأكل ومن تقليل البذر في سنى الجدب في السبع الثانية إذ الغالب على الظن أنه لا يرد البذر من الحقل ، وهذا يدل على كمال العلم وكمال الرأى والفهم .

يوسف ومعجزته الكبرى :

وظهرت معجزة يوسف في قدرته على إدارة شئون مصر في هذه السنوات العجاف ، ولكنه رفض حتى ظهرت براءته مما نسب إليه ، واعترفت النسوة وامرأة العزيز بما كان من كيدهن له . .

قال ابن كثير رحمه الله :

لما ظهر للملك براءة عرضه ونزاهة ساحته عما كانوا أظهروا عنه مما نسبوه إليه : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ﴾ [يوسف : ٥٤] أى : أجعله من خاصتى ، ومن أكابر دولتى ومن أعيان حاشيتى ، فلما كلمه وسمع مقاله وتبين حاله : ﴿ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [يوسف : ٥٤] ، أى : ذو مكانة وأمانة .

قال : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٥٥] طلب أن يوليه النظر فيما يتعلق بالأهراء ، لما يتوقع من حصول الخلل فيما بعد مضى سبع سنى الخصب ، لينظر فيها بما يرضى الله في خلقه ، من الاحتياط لهم والرفق بهم وأخبر الملك إنه حفيظ ، أى : قوى على حفظ ما لديه أمين عليه عليم بضبط الأشياء ومصالح الأهراء .

قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ﴾ [يوسف : ٥٦] ، أى : بعد السجن والضيق والحصر ، صار مطلق الركاب بديار مصر .

﴿ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ﴾ ، أى : أين شاء حل منها مكرمًا ، محسودًا، معظمًا .

﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٥٦] أى: هذا كله من جزاء الله وثوابه للمؤمن ، مع ما يدخر له في آخرته من الخير الجزيل والثواب الجميل .

يوسف يعيد البصر إلى أبيه بإذن الله :

وهذه معجزة أخرى ليوسف عليه السلام . . فبعد أن كشف يوسف عليه السلام شخصيته لإخوته ، ودعا لهم الله تعالى أن يغفر لهم .

قال ابن كثير :

(ثم أمرهم بأن يذهبوا بقميصه وهو الذى يلى جسده ، فيضعوه على عينى أبيه فإنه يرجع إليه بصره ، بعد ما كان ذهب بإذن الله .

وهذا من خوارق العادات ، ودلائل النبوات وأكبر المعجزات .

ثم أمرهم أن يتحملوا بأهلهم أجمعين إلى ديار مصر ، إلى الخير والدعة وجمع الشمل بعد الفرقة على أكمل الوجوه وأعلى الأمور .

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَن تُفَنِّدُونِ * قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ * فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ * قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا

ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ، [يوسف : ٩٤ - ٩٨]) انتهى .

وتحققت الرؤيا ولقائه بأهله :

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ * وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف : ٩٩ - ١٠١] .

❊ ❊ ❊

قال ابن كثير :

قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم : كان أيوب رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواع ، من الأنعام والعبيد والمواشي والأراضي المتسعة بأرض البثينة من أرض حوران .

وحكى ابن عساكر : أنها كلها كانت له وكان له أولاد وأهلون كثير ، فسلب من ذلك جميعه وابتلى في جسده بأنواع البلاء ، ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه يذكر الله عز وجل بهما وهو في ذلك كله صابر محتسب ، ذاكر لله عز وجل في ليله ونهاره وصباحه ومسائه .

وطال مرضه ، حتى عافه الجليس ، وأوحش منه الأنيس .. ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته ، كانت ترعى له حقه وتعرف قديم إحسانه إليها وشفقته عليها ، فكانت تتردد إليه فتصلح من شأنه ، وتعينه على قضاء حاجته وتقوم بمصلحته .. وهى صابرة معه على ما حل بهما من فراق المال والولد ، وما يختص بها من المصيبة بالزوج وضيق ذات اليد ..

ولم يزد هذا كله أيوب عليه السلام إلا صبرا واحتسابًا وحمدا وشكرًا ، حتى أن المثل ليضرب بصبره عليه السلام ويضرب المثل أيضًا بما حصل له من أنواع البلايا .

وقد اختلفوا في مدة بلواه على أقوال ، وقال حميد : مكث في بلواه ثماني عشرة سنة . انتهى .

إن بعد العسر يسرا والمعجزة :

عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال : (إن نبى الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة ، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا من أخص

قال ابن كثير :

قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم : كان أيوب رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواع ، من الأنعام والعبيد والمواشي والأراضي المتسعة بأرض البثينة من أرض حوران .

وحكى ابن عساكر : أنها كلها كانت له وكان له أولاد وأهلون كثير ، فسلب من ذلك جميعه وابتلى في جسده بأنواع البلاء ، ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه يذكر الله عز وجل بهما وهو في ذلك كله صابر محتسب ، ذاكر لله عز وجل في ليله ونهاره وصباحه ومسائه .

وطال مرضه ، حتى عافه الجليس ، وأوحش منه الأنيس .. ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته ، كانت ترعى له حقه وتعرف قديم إحسانه إليها وشفقته عليها ، فكانت تتردد إليه فتصلح من شأنه ، وتعينه على قضاء حاجته وتقوم بمصلحته .. وهى صابرة معه على ما حل بهما من فراق المال والولد ، وما يختص بها من المصيبة بالزوج وضيق ذات اليد ..

ولم يزد هذا كله أيوب عليه السلام إلا صبرا واحتسابًا وحمدا وشكرًا ، حتى أن المثل ليضرب بصبره عليه السلام ويضرب المثل أيضًا بما حصل له من أنواع البلايا .

وقد اختلفوا في مدة بلواه على أقوال ، وقال حميد : مكث في بلواه ثماني عشرة سنة . انتهى .

إن بعد العسر يسرا والمعجزة :

عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : (إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة ، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا من أخص

إخوانه له كانا يغدوان إليه ويروحان .

فقال أحدهما لصاحبه : يعلم الله لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين .

قال له صاحبه : وما ذاك ؟ قال : منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه ربه فيكشف ما به .

فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له .

فقال أيوب : لا أدرى ما تقول غير أن الله عز وجل يعلم أنى كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلى بيتى فأكفر عنهما كراهية أن يذكرا الله إلا في حق .

قال : وكان يخرج في حاجته ، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يرجع ، فلما كان ذات يوم أبطأت عليه فأوحى الله إلى أيوب في مكانه أن اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ، فاستبطأته فتلقته تنظر ، وأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن ما كان .

فلما رأته قالت : أى بارك الله فيك ، هل رأيت نبى الله هذا المبتلى فوالله على ذلك ما رأيت رجلاً أشبه به منك ، إذ كان صحيحًا .

قال : فإنى أنا هو .

قال : وكان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير ، فبعث الله سحابتين ، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض ، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض)[1] .

---

(١) الحديث إسناده صحيح ذكره ابن جرير في تفسيره (٢٣/١٠٧ - ١٠٨) دون لفظ (القدير) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٧٤) وغيرهما .

قال ابن كثير :

وقوله ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ﴾ أى اضرب الأرض برجلك .

فامتثل ما أمر به ، فأنبع الله له عينا باردة الماء ، وأمر أن يغتسل فيها ويشرب منها فأذهب الله عنه ما كان يجده من : الألم ، والأذى ، والسقم ، والمرض الذى كان في جسده ظاهرًا وباطنًا ، وأبدله الله بعد ذلك كله ، صحة ظاهرة وباطنة ، وجمالاً تامًا ومالاً كثيرًا ، حتى صب له من المال صبًا مطرًا عظيمًا ، جرادًا من ذهب .

وأخلف الله له أهله كما قال تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ .

فقيل : أحياهم الله بأعيانهم وقيل آجره فيمن سلف ، وعوضه عنهم في الدنيا بدلهم وجمع له شمله بكلهم في الدار الآخرة - والله أعلم - .

وقوله : ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ أى : رفعنا عنه شدته وكشفنا ما به من ضر ، رحمة منا به ورأفة وإحسانًا .

﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾ أى تذكرة لمن ابتلى في جسده أو ماله أو ولده ، فله أسوة بنبى الله أيوب ، حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك فصبر واحتسب حتى فرج الله عنه .

❊ ❊ ❊

معجزة ذى الكفل عليه السلام

لم أجد له معجزة ظاهرة ، وإنما ذكر ابن كثير في البداية والنهاية قصته ، وها هى بعد حذف الإسرائيليات :

قال الله تعالى بعد قصة أيوب في سورة الأنبياء :

﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٥ - ٨٦] .

وقال تعالى بعد قصة أيوب أيضًا في سورة ص :

﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ * وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الأَخْيَارِ ﴾ [ص : ٤٥ - ٤٨] .

فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقرونا مع هؤلاء السادة الأنبياء ، أنه نبى عليه من ربه الصلاة والسلام ، وهذا هو المشهور .

وكان قد تكفل لبنى قومه أن يكفيهم أمرهم ، ويقضى بينهم بالعدل فسمى ذا الكفل . انتهى .

❊ ❊ ❊

معجزة يونس عليه السلام

لنبى الله تعالى يونس بن متى عليه السلام معجزة خالدة ، وهى لبسه في بطن الحوت دون أن يصيبه أذى ، إلى أن كشف الله عنه الضر وأنجاه وإليك أخى القارئ تفاصيل المعجزة والله المستعان .

قوم يونس وعذاب الله تعالى:

قال ابن كثير في البداية :

قال أهل التفسير بعث الله يونس عليه السلام ، إلى أهل نينوى من أرض الموصل فدعاهم إلى الله عز وجل ، فكذبوه واستمروا على كفرهم وعنادهم ، فلما طال ذلك عليه من أمرهم خرج من بين أظهرهم ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث ، إن لم يتوبوا ويؤمنوا . .

فلما خرج من بين ظهرانيهم وتحققوا نزول العذاب بهم قذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة ، وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم ، فلبسوا المسوح وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ، ثم عجوا إلى الله عز وجل وصرخوا وتضرعوا إليه ، وتمسكنوا لديه وبكى الرجال والنساء والبنون والبنات والأمهات . .

وكانت ساعة عظيمة هائلة ، فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته عنهم العذاب الذى كان قد اتصل بهم بسببه ، ودار على رؤوسهم كقطع الليل المظلم .

ولهذا قال تعالى : ﴿ فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا ﴾ [يونس : ٩٨] أي : هلا وجدت فيما سلف من القرون قرية آمنت بكمالها ، فدل على أنه لم يقع ذلك .

بل كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [سبأ : ٣٤] .

وقوله : ﴿ إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [يونس : ٩٨] أي آمنوا بكاملهم .

يونس في بطن الحوت والمعجزة

والمقصود أنه عليه السلام لما ذهب مغاضبًا بسبب قومه ، ركب سفينة في البحر فلجت بهم واضطربت ، وماجت بهم وثقلت بما فيها وكادوا يغرقون - على ما ذكره المفسرون - قالوا : فاشتوروا فيما بينهم على أن يقترعوا فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السفينة ، ليتحفظوا منه ، فلما اقترعوا وقعت القرعة على نبي الله يونس ، فلم يسمحوا به فأعادوها ثانية فوقعت عليه أيضًا ، فشمر ليخلع ثيابه ويلقي بنفسه ، فأبوا عليه ذلك ثم أعادوا القرعة ثالثة فوقعت عليه أيضًا ؛ لما يريده الله به من الأمر العظيم .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۝ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ۝ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ .

[الصافات : ١٣٩ - ١٤٢] .

وذلك أنه لما وقعت عليه القرعة ، ألقي في البحر وبعث الله عز وجل حوتًا عظيمًا من البحر الأخضر فالتقمه .

وقد اختلفوا في مقدار لبثه في بطنه .

فقال مجالد عن الشعبي : التقمه ضحى ولفظه عشية ، وقال قتادة : مكث فيه ثلاثًا . انتهى . . والله تعالى أعلم كم لبث في بطنه .

يونس يسبح لله تعالى :

قال تعالى : ﴿ **وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الأنبياء : ٨٧ - ٨٨] .

قال ابن كثير :

(أى نضيق وقيل معناه نقدر من التقدير (فنادى في الظلمات) قال ابن مسعود وابن عباس وغيرهما : ظلمة الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل .

وقوله تعالى : ﴿ **فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ [الصافات : ١٤٣ - ١٤٤] .

قيل : معناه لولا أنه سبح الله هنالك ، وقال ما قال من التهليل والتسبيح والاعتراف لله بالخضوع ، والتوبة إليه والرجوع إليه للبث هنالك إلى يوم القيامة ، ولبعث من جوف ذلك الحوت .

وقيل معناه : فلولا أنه كان من قبل أخذ الحوت له من المسبحين أى : المطيعين المصلين الذاكرين الله كثيرًا .

﴿ **فَنَبَذْنَاهُ** ﴾ أى : ألقيناه .

﴿ **بِالْعَرَاءِ** ﴾ وهو المكان القفر الذى ليس فيه شيء من الأشجار ، بل هو عار منها .

﴿ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ [الصافات : ١٤٥] أى : ضعيف البدن .

﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴾ [الصافات : ١٤٦] . قال ابن مسعود وابن عباس وغيرهما : وهو القرع .

ولهذا قال تعالى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ﴾ أى : الكرب والضيق الذى كان فيه .

﴿ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٨] أى : وهذا صنيعنا بكل من دعانا واستجار بنا) . انتهى .

❊ ❊ ❊

معجزة موسى وهارون عليهما السلام

موسى وهارون عليهما السلام ، إخوة وأنبياء اصطفاهم الله تعالى وأمرهما أن يذهبا إلى فرعون الذى طغى ، وقال للناس : أنا ربكم الأعلى .

وأيد موسى عليه السلام وهو من أولى العزم من الرسل بآيات كثيرة ، تدل على صدق دعوته هو وأخيه هارون عليهما السلام . .

قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا * وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٥١ - ٥٣] .

فرار موسى من فرعون وبداية المعجزات :

لما قتل موسى الرجل ظل في المدينة خائفًا يترقب من فرعون وجنوده ، حتى وصل إلى مدين .

وكان من أمره ما كان من المرأتين ابنتا الشيخ الكبير ، وعرض الشيخ عليه أن يتزوج إحدى البنتين ، مقابل عمله معهم ، ومساعدتهم ثمانى سنين ، أو عشرة . .

كما قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [القصص : ٢٧] .

ثم قال تعالى : ﴿ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [القصص : ٢٨] .

قال ابن كثير :

(يقول إن موسى قال لصهره الأمر على ما قلت ، فأيهما قضيت فلا عدوان على والله على مقالتنا سامع ومشاهد ووكيل على وعليك ، ومع هذا فلم يقض موسى إلا أكمل الأجلين وأتمهما وهو العشر سنين كوامل تامة) انتهى .

موسى في البقعة المباركة :

وبدأت معجزات كليم الله موسى في هذه البقعة المباركة ، التى بين الله تعالى فيها لموسى إنه رسوله إلى فرعون ، وأيده بالمعجزات الدالة على نبوته . .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [النمل : ٧] .

قال ابن كثير :

(وقد أتاهم منها بخبر وأى خبر ، ووجد عندها هدى وأى هدى ، واقتبس منها نورًا وأى نور .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

[القصص : ٣٠] .

وقال في سورة طه : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا

تَسْعَىٰ * فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ .

[طه : ١١ - ١٦] .

ثم خاطبه تعالى كما يشاء قائلا له : إنى أنا الله رب العالمين .

﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴾ ، أى : أنا رب العالمين، الذى لا إله إلا هو ، الذى لا تصلح العبادة وإقامة الصلاة إلا له ، ثم أخبره أن هذه الدنيا ليست بدار قرار ، وإنما الدار الباقية يوم القيامة ، التى لا بد من كونها ووجودها ، لتجزى كل نفس بما تسعى ، أى من خير وشر ، وحضه وحثه على العمل لها ، ومجانبة من لا يؤمن بها ممن عصى مولاه واتبع هواه) انتهى .

معجزات موسى عليه السلام :

بينما موسى عليه السلام في الوادى المقدس طوى ، قال الله تعالى له مخاطبًا ومؤانسًا ، ومبينًا له أنه القادر على كل شيء الذى يقول للشيء كن فيكون ولندع ابن كثير رحمه الله تعالى يفسر لنا الآيات البينات لهذه اللحظات الروحانية التى يخاطب فيها رب العباد وملك الملوك سبحانه كليمه وصفيه من بنى إسرائيل موسى عليه الصلاة والسلام .

قال ابن كثير في البداية والنهاية :

(﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ [طه : ١٧] أى : أما هذه عصاك التى نعرفها منذ صحبتها .

قال : ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾ [طه : ١٨] أى بل هذه عصاى التى أعرفها وأتحققها.

﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ [طـه : ١٩ - ٢٠]
وهذا خارق عظيم وبرهان قاطع ، على أن الذى يكلمه يقول للشيء كن فيكون وأنه الفعال بالاختيار .

وقد قال الله تعالى في الآية الأخرى : ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ أى : قد صارت حية عظيمة لها ضخامة هائلة وأنياب تصطك ، وهى مع ذلك في سرعة حركة الجان ، وهو ضرب من الحيات.

يقال : الجان والجنان ، وهو لطيف ، ولكن سريع الاضطراب ، والحركة جدًا ، فهذه جمعت الضخامة ، والسرعة الشديدة ، فلما عاينها موسى عليه السلام .

﴿ وَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴾ أى هاربًا منها ؛ لأن طبيعته البشرية تقتضى ذلك .

﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ أى ولم يلتفت .

فناداه ربه قائلا له : ﴿ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ .

[القصص : ٣١] .

فلما رجع أمره الله تعالى أن يمسكها : ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴾ [طه : ٢١] .

فيقال : إنه هابها شديدًا ، فوضع يده في كم مدرعته ، ثم وضع يده في وسط فمها ، وعند أهل الكتاب بذنبها فلما استمكن منها إذا هى قد عادت كما كانت عصا ذات شعبتين .

فسبحان القدير العظيم رب المشرقين والمغربين ، ثم أمره تعالى بإدخال يده في جيبه ، ثم أمره بنزعها ، فإذا هى تتلألأ كالقمر بياضًا من غير سوء أى : من غير برص ولا بهق .

ولهذا قال : ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ [القصص : ٣٢] .

وقال في سورة النمل : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [النمل : ١٢] أى : هاتان الآيتان وهما العصا واليد .

وهما البرهانان المشار إليهما في قوله : ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [القصص : ٣٢] .

ومع ذلك سبع آيات أخر ، فذلك تسع آيات بينات وهى المذكورة في آخر سورة سبحان) انتهى .

معجزات أخرى لموسى عليه السلام :

أيد الله كليمه موسى وأخيه هارون بمعجزات أخرى ، ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم .

قال تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٣٣] .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

أما الطوفان : فعن ابن عباس هو كثرة الأمطار المتلفة للزروع والثمار ، وقال مجاهد : الطوفان الماء والطاعون على كل حال .

وأما الجراد : فمعروف المقصود أنه استاق خضراءهم ، فلم يترك لهم زرعًا ولا ثمارًا ولا سبدًا ولا لبدًا .

وأما القمل : فعن ابن عباس : هو السوس الذى يخرج من الحطنة وعنه أنه

الجراد الصغار ، الذى لا أجنحة له ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هى البراغيث .

وأما الضفادع : فمعروفة لبستهم حتى كانت تسقط في أطعمتهم وأوانيهم ، حتى إن أحدهم إذا فتح فمه لطعام أو شراب سقطت في فيه ضفدعة من تلك الضفادع .

وأما الدم : فكان قد مزج ماؤهم كله به فلا يستقون من النيل شيئًا إلا وجدوه دمًا عبيطًا ولا من نهر ولا بئر ولا شيء إلا كان دمًا .

في الساعة الراهنة هذا كله لم ينل بنى إسرائيل من ذلك شيء بالكلية ، وهذا من تمام المعجزة الباهرة والحجة القاطعة ، أن هذا كله يحصل لهم من فعل موسى عليه السلام فينالهم عن آخرهم ولا يحل هذا لأحد من بنى إسرائيل وفي هذا أدل دليل) انتهى .

معجزة انشقاق البحر:

خرج موسى وأخوه مع من آمنوا برسالته من بنى إسرائيل بعيدًا عن بطش فرعون وجنوده ، وكادوا أن يدركوهم وقد صار البحر أمامهم ، فكانت المعجزة الكبرى التى أيد الله تعالى بها كليمه موسى عليه السلام .

قال الله تعالى : ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ * فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ** ﴾ [الشعراء : ٥٢ - ٦١] .

قال ابن كثير :

والمقصود : أن فرعون لحقهم بالجنود ، فأدركهم عند شروق الشمس وتراءى الجمعان ولم يبق ثم ريب ولا لبس ، وعاين كل من الفريقين صاحبه وتحققه ورآه، ولم يبق إلا المقاتلة والمجادلة والمحاماة فعندها قال أصحاب موسى وهم خائفون : إنا لمدركون ، وذلك لأنهم اضطروا في طريقهم إلى البحر ، فليس لهم طريق ولا محيد إلا سلوكه وخوضه ، وهذا ما لا يستطيعه أحد ولا يقدر عليه والجبال عن يسرتهم وعن أيمانهم وهى شاهقة منيفة ، وفرعون قد غالقهم وواجههم وعاينوه في جنوده وجيوشه وعدده ، وهم منه في غاية الخوف ، والذعر لما قاسوا في سلطانه من الإهانة والمنكر فشكوا إلى نبى الله ما هم فيه مما قد شاهدوه ، وعاينوه فقال لهم الرسول الصادق المصدوق : ﴿ **كَلاَّ إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾ [الشعراء : ٦٢] . .

ونظر إلى البحر وهو يتلاطم بأمواجه ، ويتزايد زبد أجاجه وهو يقول هاهنا أمرت ، ومعه أخوه هارون ويوشع بن نون ، وهو يومئذ من سادات بنى إسرائيل وعلمائهم وعبادهم الكبار . .

ومعهم أيضًا مؤمن آل فرعون ، وهم وقوف وبنو إسرائيل بكمالهم عليهم عكوف واشتد الأمر واقترب فرعون وجنوده في جدهم وحدهم وحديدهم وغضبهم وحنقهم ، وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، فعند ذلك أوحى الحليم العظيم القدير رب العرش الكريم إلى موسى الكليم ﴿ **أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ** ﴾ [الشعراء : ٦٣] .

فلما ضربه يقال إنه قال له انفلق بإذن الله : وهكذا كان ماء البحر قائمًا مثل الجبال مكفوفًا بالقدرة العظيمة ، الصادرة من الذى يقول للشيء كن فيكون .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ * فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ * وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴾ [طه : ٧٧ - ٧٩] .

والمقصود : أنه لما آل أمر البحر إلى هذه الحال بإذن الرب العظيم الشديد المحال، أمر موسى عليه السلام أن يجوزه بنى إسرائيل فانحدروا فيه مسرعين مستبشرين مبادرين ، وقد شاهدوا من الأمر العظيم ما يحير الناظرين ، ويهدى قلوب المؤمنين ، فلما جاوزوه وجاوزه وخرج آخرهم منه ، وانفصلوا عنه كان ذلك عند قدوم أول جيش فرعون إليه ، ووفودهم عليه فأراد موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه ليرجع كما كان عليه ، لئلا يكون لفرعون وجنوده وصول إليه ، ولا سبيل عليه فأمره القدير ذو الجلال أن يترك البحر على هذه الحال . . فلما تركه على هيئته وحالته وانتهى فرعون ، فرأى ما رأى وعاين ما عاين ، هاله هذا المنظر العظيم وتحقق ما كان يتحققه قبل ذلك ، من أن هذا من فعل رب العرش الكريم فأحجم ولم يتقدم وندم في نفسه على خروجه في طلبهم والحالة هذه ، حيث لا ينفعه الندم لكنه أظهر لجنوده تجلدا وعاملهم معاملة العدا وحملته النفس الكافرة والسجية الفاجرة على أن قال لمن استخفهم فأطاعوه ، وعلى باطله تابعوه انظروا كيف انحسر البحر لى لأدرك عبيدى الآبقين من يدي الخارجين عن طاعتى وبلدى وجعل يورى في نفسه أن يذهب خلفهم ويرجو أن ينجو ، وهيهات ويقدم تارة ويحجم تارات . .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: ٦٥ - ٦٨] أى : فى إنجائه أولياءه فلم يغرق منهم أحد وإغراقه أعداءه فلم يخلص منهم أحد ، آية عظيمة وبرهان قاطع على قدرته تعالى العظيمة وصدق رسوله

فيما جاء به عن ربه من الشريعة الكريمة والمناهج المستقيمة.

وقال تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ .

[يونس : ٩٠ - ٩٢] .

يخبر تعالى عن كيفية غرق فرعون زعيم كفرة القبط ، وأنه لما جعلت الأمواج تخفضه تارة وترفعه أخرى ، وبنو إسرائيل ينظرون إليه وإلى جنوده ماذا أحل الله به وبهم من البأس العظيم والخطب الجسيم ، ليكون أقر لأعين بنى إسرائيل وأشفى لنفوسهم .

فلما عاين فرعون الهلكة وأحيط به وباشر سكرات الموت ، أناب حينئذ وتاب وآمن حين لا ينفع نفسا إيمانها) انتهى .

معجزة جبل الطور :

بعدما ضل بنى إسرائيل كعادتهم دائمًا وأشركوا بالله تعالى : بعبادتهم للعجل اختار موسى سبعين رجلاً ، ليعتذروا لله عما فعل قومهم من عبادتهم للعجل .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [البقرة : ٦٣ - ٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا

آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧١] .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

(قال ابن عباس وغير واحد من السلف : لما جاءهم موسى بالألواح فيها التوراة أمرهم بقبولها والأخذ بها بقوة وعزم ، فقالوا : انشرها علينا ، فإن كانت أوامرها ونواهيها سهلة قبلناها .

فقال : بل اقبلوها بما فيها فراجعوه مرارا فأمر الله الملائكة فرفعوا الجبل على رؤوسهم حتى صار ﴿ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾ أى غمامة على رؤوسهم .

قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ أى : ثم بعد مشاهدة هذا الميثاق العظيم والأمر الجسيم نكثتم عهودكم ومواثيقكم .

﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ بأن تداركتكم بالإرسال إليكم وإنزال الكتب عليكم ﴿ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾) انتهى .

معجزة إحياء قتيل بنى إسرائيل له عليه السلام :

أحيا الله تعالى لكليمه موسى قتيل قتل من بنى إسرائيل ليخبرهم عمن قتله، وإليك تفاصيل هذه المعجزة . .

قال ابن كثير - رحمه الله - :

(كان رجل في بنى إسرائيل كثير المال وكان شيخًا كبيرًا ، وله بنو أخ وكانوا يتمنون موته ليرثوه ، فعمد أحدهم فقتله في الليل وطرحه في مجمع الطرق ، ويقال على باب رجل منهم .

فلمّا أصبح الناس اختصموا فيه وجاء ابن أخيه فجعل يصرخ ويتظلم ، فقالوا: ما لكم تختصمون ولا تأتون نبى الله ، فجاء ابن أخيه فشكى أمر عمه

إلى رسول الله موسى عليه السلام .

فقال موسى عليه السلام : أنشد الله رجلاً عنده علم من أمر هذا القتيل إلا أعلمنا به ، فلم يكن عند أحد منهم علم منه ، وسألوه أن يسأل في هذه القضية ربه عز وجل .

فسأل ربه عز وجل في ذلك ، فأمره الله أن يأمرهم بذبح بقرة فقال : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا** ﴾ [البقرة : ٦٧] .

يعنون : نحن نسألك عن أمر هذا القتيل ، وأنت تقول هذا .

قال : ﴿ **أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [البقرة : ٦٧] ، أى : أعوذ بالله أن أقول عنه غير ما أوحى إلي .

وهذا هو الذى أجابنى حين سألته عما سألتمونى عنه أن أسأله فيه .

قال ابن عباس وعبيدة وغيرهما : فلو أنهم عمدوا إلى أى بقرة فذبحوها ، لحصل المقصود منها ولكنهم شددوا فشدد عليهم . .

والمقصود : أنهم أمروا بذبح بقرة عوان ، وهى الوسط بين الفارض وهى الكبيرة ، والبكر وهى الصغيرة ، قاله ابن عباس وغيره .

ثم شددوا وضيقوا على أنفسهم ، فسألوا عن لونها فأمروا بصفراء فاقع لونها، أى مشرب بحمرة تسر الناظرين ، وهذا اللون عزيز .

ثم شددوا أيضًا فـ ﴿ **قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ .

[البقرة : ٧٠ - ٧١] .

وهذه الصفات أضيق مما تقدم ، حيث أمروا بذبح بقرة ليست بالذلول وهى

المذللة بالحراثة وسقى الأرض بالساقية ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ ، وهى الصحيحة التى لا عيب فيها . .

أى ليس فيها لون يخالف لونها ، بل هى مسلمة من العيوب ومن مخالطة سائر الألوان غير لونها ، فلما حددها بهذه الصفات وحصرها بهذه النعوت والأوصاف : ﴿ قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾ .

ويقال : إنهم لم يجدوا هذه البقرة بهذه الصفة إلا عند رجل منهم كان باراً بأبيه والله أعلم .

فأمرهم نبى الله موسى بذبحها : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ أى وهم يترددون في أمرها ، ثم أمرهم عن الله أن يضربوا ذلك القتيل ببعضها . . فلما ضربوه ببعضها أحياه الله تعالى ، فقام وهو يشخب أوداجه فسأله نبى الله من قتلك ؟ قال : قتلنى ابن أخى ثم عاد ميتًا كما كان .

قال الله تعالى :

﴿ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٧٣] ، أى : كما شاهدتم إحياء هذا القتيل عن أمر الله له ، كذلك أمره في سائر الموتى إذا شاء إحياءهم أحياهم في ساعة واحدة) انتهى . .

وهناك معجزات أخرى ولكن نكتفى بما ذكرنا لضيق المساحة والله المستعان .

❊ ❊ ❊

معجزة إلياس عليه السلام

لم أجد له عليه السلام معجزة لا تخالطها إسرائيليات وأذكر هنا ما يصح من قصته والله المستعان .

قال الله تعالى :

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ * اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ * سَلامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

[الصافات : ١٢٣ - ١٣٢] .

قال ابن كثير :

(قالوا - أى علماء النسب - وكان إرساله إلى أهل بعلبك غربى دمشق ، فدعاهم إلى الله عز وجل وأن يتركوا عبادة صنم لهم كانوا يسمونه بعلا ، وقيل كانت امرأة اسمها بعل .

• ولهذا قال لهم : **﴿ أَلا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ * اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴾** [الصافات : ١٢٤ - ١٢٦] فكذبوه وخالفوه وأرادوا قتله .

وقوله تعالى : **﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾** ، أى : للعذاب ، إما في الدنيا والآخرة ، أو في الآخرة .

والأول أظهر على ما ذكره المفسرون والمؤرخون .

وقوله : ﴿ إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ أى : إلا من آمن منهم .

وقوله : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ ﴾ أى : أبقينا بعده ذكرًا حسنًا له في العالمين فلا يذكر إلا بخير.

ولهذا قال : ﴿ سَلامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴾ أى : سلام على إلياس .

العرب تلحق النون في أسماء كثيرة وتبدلها من غيرها كما قالوا : إسماعيل، وإسماعين ، وإسرائيل وإسرائين ، وإلياس وإلياسين .

❊ ❊ ❊

معجزة اليسع عليه السلام

لم أجد له معجـزة ظاهرة ، وإليك ما ذكره ابن كثير من قصتـه بعد التهذيب وحذف ما لا يليق والله تعالى أعلم .

قال رحمه الله تعالى :

(قد ذكره الله تـعالى مع الأنبياء في سورة الأنـعام في قوله : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاً فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٦] .

وقال تعالى في سورة ص : ﴿ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الأَخْيَارِ ﴾ [ص : ٤٨] . .

وعن الحسن قال : كان بعـد إلياس اليسع عليهما السـلام فمكث ما شاء الله أن يمكث ، يدعوهم إلى الله مستـمسكًا بمنهاج إلياس وشريعته ، حـتى قبضه الله عز وجل إليـه ثم خلف فيـهم الخلوف وعظمت فيـهم الأحداث والخطايا وكـثرت الجبـابرة وقتلوا الأنبياء وكـان فيهم ملك عنيـد طاغ ، ويقال إنه الذى تكفل له ذو الكفل إن هو تاب ورجع دخل الجـنة فسـمى ذا الكفل) انتـهى . . والله تعـالى أعلم .

❊ ❊ ❊

معجزات داود عليه السلام

نبى الله داود عليه السلام .

له معجزات واضحة في كتاب الله تعالى والسنة الصحيحة ما يدل على مكانته وفضله . . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ : ١٠ - ١١] .

وقال تعالى : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ * وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ .

[الأنبياء : ٧٩ - ٨٠] .

قال ابن كثير في البداية والنهاية : (أعانه الله على عمل الدروع من الحديد ليحصن المقاتلة من الأعداء وأرشده إلى صنعتها وكيفيتها فقال : ﴿ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ﴾ ، أى : لا تدق المسمار (فيغلق) ، ولا تغلظه (فيفصم) .

قال الحسن البصرى وقتادة والأعمش : كان الله قد ألان له الحديد ، حتى كان يفتله بيده ، لا يحتاج إلى نار ، ولا مطرقة .

وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ [ص : ١٧ - ٢٠] .

قال ابن عباس ومجاهد : الأيد القوة في الطاعة ، يعني : ذا قوة في العبادة

والعمل الصالح .

قال قتادة : أعطى قوة في العبادة وفقهًا في الإسلام .

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : (أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقى) .

وقوله : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ١٧ - ١٨] ، كما قال : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾ [سبأ : ١٠] أي : سبحي معه .

قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد في تفسير هذه الآية .

﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ ﴾ ، أي : عند آخر النهار وأوله .

وذلك أنه كان الله تعالى قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه أحدا ، بحيث أنه كان إذا ترنم بقراءة كتابه يقف الطير في الهواء يرجع بترجيعه ، ويسبح بتسبيحه ، وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشيا ، صلوات الله وسلامه عليه .

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ [النساء : ١٦٣] .

والزبور كتاب مشهور ، وفيه من المواعظ والحكم ، ما هو معروف لمن نظر .

وقوله : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ [ص : ٢٠] أي : أعطيناه ملكًا عظيمًا وحكمًا نافذًا) انتهى .

***

معجزات سليمان عليه السلام

كان لسليمان عليه السلام ، معجزات هائلة ، خصه الله تعالى بها ، لم يعطها لأحد قبله ولا بعده كما قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [ص : ٣٥] .

معجزة علمه بمنطق الطير وسائر المخلوقات :

قال الله تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ [النمل : ١٦] .

قال ابن كثير : (أى ورثه في النبوة والملك وليس المراد ورثه في المال ، لأنه قد كان له بنون غيره فما كان ليخص بالمال دونهم .

﴿ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ ﴾ ، يعنى : أنه - عليه السلام - كان يعرف ما يتخاطب به الطيور بلغاتها ، ويعبر للناس عن مقاصدها ، وإرادتها .

﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أى : من كل ما يحتاج الملك إليه من العدد والآلات والجنود والجيوش والجماعات من الجن والإنس والطيور ، والوحوش والشياطين السارحات والغلوم والفهوم والتعبير ، عن ضمائر المخلوقات من الناطقات.والصامتات .

ثم قال : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ أى : من بارىء البريات ، وخالق الأرض والسموات) انتهى .

معجزة تسخير الريح والشياطين له عليه السلام :

قال تعالى : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [ص : ٣٦ - ٤٠] .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - : (لما ترك الخيل ابتغاء وجه الله عوضه الله منها الريح التى هى أسرع سيرا وأقوى وأعظم ولا كلفة عليه لها .

﴿ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [ص : ٣٦] أى : حيث أراد من أى البلاد كان له بساط مركب من أخشاب بحيث إنه يسع جميع ما يحتاج إليه من الدور المبنية ، والقصور ، والخيام ، والأمتعة ، والخيول ، والجمال ، والأثقال، والرجال من الإنس والجان ، وغير ذلك من الحيوانات والطيور .

فإذا أراد سفرًا أو مستنزهًا أو قتال ملك أو أعداء من أى بلاد الله شاء ، فإذا حمل هذه الأمور المذكورة على البساط ، أمر الريح فدخلت تحته فرفعته ، فإذا استقل بين السماء والأرض أمر الرخاء فسارت به ، فإن أراد أسرع من ذلك ، أمر العاصفة فحملته أسرع ما يكون ، فوضعته في أى مكان شاء ، بحيث إنه كان يرتحل في أول النهار من بيت المقدس ، فتغدو به الريح فتضعه بأصطخر مسيرة شهر . فيقيم هناك إلى آخر النهار ، ثم يروح من آخره فترده إلى بيت المقدس .

كما قال تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٢ - ١٣] .

وقوله : ﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ أى : وسخر الله له من الجن عمالا يعملون له ما يشاء ، لا يفترون ، ولا يخرجون عن طاعته ، ومن خرج منهم عن الأمر عذبه ، ونكل به .

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ ﴾ ، وهى الأماكن الحسنة ، وصدور المجالس .

﴿ وَتَمَاثِيلَ ﴾ ، وهى الصور في الجدران ، وكان هذا سائغًا في شريعتهم وملتهم .

﴿ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ ﴾ ، قال ابن عباس : الجفنة : كالجوبة من الأرض ، وعنه كالحياض .

وقال تعالى : ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ [ص : ٣٧ - ٣٨] ، يعنى : أن منهم من قد سخره في البناء ، ومنهم من يأمره بالغوص في الماء ، لاستخراج ما هنالك من الجواهر واللآلئ وغير ذلك مما لا يوجد إلا هنالك .

وقوله : ﴿ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ [ص : ٣٨] أى : قد عصوا فقيدوا مقرنين اثنين اثنين في الأصفاد وهى القيود هذا كله من جملة ما هيأه الله ، وسخر له من الأشياء التى هى من تمام الملك . .

وقد كان له عليه السلام من أمور الملك واتساع الدولة وكثرة الجنود وتنوعها ، ما لم يكن لأحد قبله ولا يعطيه الله أحدا بعده) انتهى .

❊ ❊ ❊

معجزات زكريا ويحيى عليهما السلام

لم أجد معجزات ظاهرة لهما ، اللهم إلا ولادة يحيى وأبيه زكريا - عليهما السلام - شيخًا كبيرًا ، وأمه كانت عاقرًا ، ولكن الله تعالى على كل شيء قدير . .

وأكتفي هنا ببيان الآيات التي جاءت عنهما ليلتمس القارئ ، فضل الله تعالى ورحمته عليهما والله المستعان .

قال الله تعالى :

﴿ كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا * يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا * قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا * فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا * يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ .

[مريم : ١ - ١٥] .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - :

والمقصود : أن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يقص على الناس خبر زكريا عليه السلام ، وما كان من أمره حين وهبه الله ولدًا على الكبر ، وكانت امرأته عاقرا في حال شبيبتها وقد أسنت أيضًا ، حتى لا ييئس أحد من فضل الله ورحمته ، ولا يقنط من فضله تعالى وتقدس .

قال تعالى : ﴿ **ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا** ﴾ .

قال قتادة عند تفسيرها : إن الله يعلم القلب النقى ويسمع الصوت الخفى .

وقال بعض السلف : قام من الليل فنادى ربه مناداة أسرها عمن كان حاضرا عنده مخافتة ، فقال : يا رب يا رب يا رب ، فقال الله : لبيك لبيك لبيك .

قال : ﴿ **رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي** ﴾، أى : ضعف وخار من الكبر .

﴿ **وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا** ﴾ استعارة من اشتعال النار في الحطب ، أى : غلب على سواد الشعر شيبه ، يذكر أن الضعف قد استحوذ عليه باطنًا وظاهرًا .

وهكذا قال زكريا - عليه السلام - : ﴿ **إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا** ﴾ أى : ما عودتنى فيما أسألك إلا الإجابة ، وكان الباعث له على هذه المسئلة ، أنه لما كفل مريم بنت عمران بن ماثان، وكان كلما دخل عليها محرابها ، وجد عندها فاكهة في غير أوانها ولا في أوانها .

وهذه من كرامات الأولياء فعلم أن الرازق للشيء في غير أوانه قادر على أن يرزقه ولدًا وإن كان قد طعن في سنه ﴿ **هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء** ﴾ .

وقوله : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ ، قيل : المراد بالموالى العصبة ، وكأنه خاف من تصرفهم بعده في بنى إسرائيل ، بما لا يوافق شرع الله وطاعته ، فسأل وجود ولد من صلبه يكون برًا تقيًا مرضيًا.

ولهذا قال : ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ﴾ أى : من عندك بحولك وقوتك .

﴿ وَلِيًّا * يَرِثُنِي ﴾ أى : في النبوة والحكم في بنى إسرائيل .

﴿ وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ يعنى : كما كان آباؤه وأسلافه من ذرية يعقوب أنبياء ، فاجعله مثلهم في الكرامة التى أكرمتهم بها من النبوة والوحى ، وليس المراد ها هنا وراثة المال .

وقوله تعالى : ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ .

قال ابن كثير : فلما بشر بالولد وتحقق البشارة ، شرع يستعلم على وجه التعجب وجود الولد والحالة هذه له .

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ أى : كيف يوجد ولد من شيخ كبير .

قيل : كان عمره إذ ذاك سبعًا وسبعين سنة والأشبه والله أعلم أنه كان أسن من ذلك .

﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ يعنى : وقد كانت امرأتى في حال شبيبتها عاقرا لا تلد والله أعلم .

كما قال الخليل : ﴿ أبشرتموني على أن مسنى الكبر فبم تبشرون ﴾ .

وقالت سارة : ﴿ يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخًا إن هذا لشيء عجيب * قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه

حميد مجيد ﴾ .

وهكذا أجيب زكريا عليه السلام ، قال له الملك الذى يوحى إليه بأمر ربه : ﴿ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ أى : هذا سهل يسير عليه .

﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ أى : قدرته أوجدتك بعد أن لم تكن شيئًا مذكورًا ، أفلا يوجد منك ولد وإن كنت شيخًا .

وقال تعالى : ﴿ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين ﴾ ، ومعنى إصلاح زوجته أنها كانت لا تحيض فحاضت، وقيل : كان في لسانها شيء أى : بذاءة .

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ﴾ أى علامة على وقت تعلق منى المرأة بهذا الولد المبشر به .

﴿ قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ يقول : علامة ذلك أن يعتريك سكت لا تنطق معه ثلاثة أيام إلا رمزًا وأنت في ذلك سوى الخلق صحيح المزاج معتدل البنية ، وأمر بكثرة الذكر في هذه الحال بالقلب واستحضار ذلك بفؤاده بالعشى والإبكار ، فلما بشر بهذه البشارة ، خرج مسرورًا بها على قومه من محرابه .

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ، والوحى ههنا هو : الأمر الخفى إما بكتابة كما قاله مجاهد والسدى ، أو إشارة كما قاله مجاهد أيضًا ووهب وقتادة .

فضل الله على يحيى بن زكريا عليه السلام

وقوله تعالى : ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ يخبر تعالى عن وجود الولد وفق البشارة الإلهية لأبيه زكريا عليه السلام . وأن الله علمه

الكتاب والحكمة وهو صغير في حال صباه .

وأما قوله : ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ أي : رحمة من عندنا رحمنا بها زكريا ، فوهبنا له هذا الولد .

وعن عكرمة : ﴿ وَحَنَانًا ﴾ ، أي : محبة عليه ، ويحتمل أن يكون ذلك صفة لتحنن يحيى على الناس ، ولا سيما على أبويه ، وهو محبتهما والشفقة عليهما . وبره بهما وأما الزكاة فهي طهارة الخلق وسلامته من النقائص والرذائل والتقوى ، وطاعة الله بامتثال أوامره وترك زواجره .

ثم ذكر بره بوالديه وطاعته لهما أمرا ونهيًا ، وترك عقوقهما قولاً وفعلاً .

فقال : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ .

ثم قال : ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ هذه الأوقات الثلاثة أشد ما تكون على الإنسان ، فإنه ينتقل في كل منها من عالم إلى عالم آخر فيفقد الأول بعد ما كان ألفه وعرفه ، ويصير إلى الآخر ، ولا يدرى ما بين يديه .

ولهذا يستهل صارخًا إذا خرج من بين الأحشاء ، وفارق لينها وضمها ، وينتقل إلى هذه الدار ليكابد همومها وغمها .

وكذلك إذا فارق هذه الدار ، وانتقل إلى عالم البرزخ بينها وبين دار القرار وصار بعد الدور والقصور إلى عرصة الأموات سكان القبور ، وانتظر هناك النفخة في الصور ، ليوم البعث والنشور فمن مسرور ومحبور ، ومن محزون ومثبور ، وما بين جبير وكسير ، وفريق في الجنة وفريق في السعير) انتهى .

❋ ❋ ❋

معجزات عيسى عليه السلام

لروح الله عيسى معجزات عظيمة جاءت في كتاب الله تعالى ، وإليك بعضها . .

معجزة ولادته من غير أب :

قال الله تعالى :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ .

[مريم : ١٦ - ٢١] .

فسر ابن كثير - رحمه الله - الآيات البينات التى ذكرناها آنفًا فقال :

﴿ انتَبَذَتْ ﴾ أى : انفردت وحدها شرقى المسجد الأقصى إذ بعث الله إليها الروح الأمين ، جبريل عليه السلام فتمثل لها بشرا سويًا فلما رأته ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ .

قال أبو العالية : علمت أن التقى ذو نهية . .

﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ ﴾ أى : خاطبها الملك قائلا : إنما أنا رسول ربك

لست ببشر ولكني ملك بعثني الله إليك ﴿ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا ﴾ أي : ولدا زكيًا قالت : ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ ﴾ أي : كيف يكون لي غلام ، أو يوجد لي ولد.

﴿ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ أي : ولست ذات زوج وما أنا ممن يفعل الفاحشة .

﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ أي : فأجابها الملك عن تعجبها من وجود ولد منها ، والحالة هذه قائلاً كذلك قال ربك أي : وعد أنه سيخلق منك غلامًا ولست بذات بعل ولا تكونين ممن تبغين .

﴿ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ أي : وهذا سهل عليه ، ويسير لديه ؛ فإنه على ما يشاء قدير.

وقوله : ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ ﴾ أي : ولنجعل خلقه والحالة هذه دليلا على كمال قدرتنا على أنواع الخلق فإنه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى .

وقوله : ﴿ وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾ أي : نرحم به العباد بأن يدعوهم إلى الله في صغره وكبره في طفوليته وكهوليته ، بأن يفردوا الله بالعبادة وحده لا شريك له ، وينزهوه عن اتخاذ الصاحبة ، والأولاد ، والشركاء ، والنظراء ، والأضداد ، والأنداد .

وقوله : ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ يحتمل أن يكون هذا من تمام كلام جبريل معها ، يعني : أن هذا أمر قد قضاه الله وحتمه وقدره وقرره . .

ويحتمل أن يكون قوله : ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ كناية عن نفخ جبريل فيها

كما قال تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم : ١٢] .

ولهذا قال تعالى : ﴿ فَحَمَلَتْهُ ﴾ أى : حملت ولدها . ﴿ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ [مريم : ٢٢] .

وذلك لأن مريم عليها السلام لما حملت ، ضاقت به ذرعا وعلمت أن كثيرا من الناس سيكون منهم كلام في حقها) انتهى .

معجزة الكلام في المهد :

قال تعالى :

﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ .

[مريم : ٢٧ - ٣٣] .

قال ابن كثير :

والمقصود : أنهم لما رأوها تحمل معها ولدها قالوا : ﴿ يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ ، والفرية هى : الفعلة المنكرة العظيمة من الفعال والمقال ، ثم قالوا لها : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ ، قيل : شبهوها بعابد من عباد زمانهم كانت تساميه في العبادة . .

وقيل : أرادوا بهارون أخا موسى شبهوها به في العبادة .

والله تعالى أعلم بالمقصود .. ولهذا قالوا : ﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ ، أي : لست من بيت هذا شيمتهم ، ولا سجيتهم ، لا أخوك ولا أمك ، ولا أبوك .

فاتهموها بالفاحشة العظمى ورموها بالداهية الدهياء .

فلما ضاق الحال وانحصر المجال ، وامتنع المقال عظم التوكل على ذي الجلال، ولم يبق إلا الإخلاص والاتكال .

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ أي : خاطبوه وكلموه ، فإن جوابكم عليه وما تبغون من الكلام لديه .

فعندها ﴿ قَالُوا ﴾ من كان منهم جبارًا شقيًا ﴿ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ أي : كيف تحيلينا في الجواب على صبي صغير ، لا يعقل الخطاب وهو مع ذلك رضيع في مهده ، ولا يميز بين محض وزبده ، وما هذا منك إلا على سبيل التهكم بنا والاستهزاء ، والتنقص لنا والازدراء ، إذ لا تردين علينا قولا نطقيا بل تحيلين في الجواب على من كان في المهد صبيا .

فعندها قال : ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ هذا أول كلام تفوه به عيسى ابن مريم .

فكان أول ما تكلم به أن قال : ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ اعترف لربه تعالى بالعبودية وأن الله ربه ، فنزه جناب الله عن قول الظالمين في زعمهم أنه ابن الله بل هو عبده ورسوله وابن أمته ثم برأ أمه مما نسبها إليه الجاهلون ، وقذفوها به ورموها بسببه بقوله ﴿ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ فإن الله لا يعطى النبوة من هو كما

زعموا لعنهم الله وقبحهم .

كما قال تعالى : ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ .

[النساء : ١٥٦] .

وذلك أن طائفة من اليهود في ذلك الزمان قالوا : إنها حملت به من زنا في زمن الحيض لعنهم الله ، فبرأها الله من ذلك وأخبر عنها أنها صديقة ، واتخذ ولدها نبيًا مرسلاً أحد أولى العزم الخمسة الكبار .

ولهذا قال : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ وذلك أنه حيث كان دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ونزه جنابه عن النقص ، والعيب من اتخاذ الولد والصاحبة تعالى وتقدس .

﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ . وهذه وظيفة العبيد في القيام بحق العزيز الحميد بالصلاة ، والإحسان إلى الخليقة بالزكاة ، وهى تشتمل على :

طهارة النفوس من الأخلاق الرذيلة ، وتطهير الأموال الجزيلة بالعطية للمحاويج على اختلاف الأصناف ، وقرى الأضياف ، والنفقات على الزوجات ، والأرقاء والقرابات وسائر وجوه الطاعات ، وأنواع القربات .

ثم قال : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ ، أى : وجعلنى برا بوالدتى وذلك أنه تأكد حقها عليه لتمحض جهتها ، إذ لا والد له سواها فسبحان من خلق الخليقة وبرأها وأعطى كل نفس هداها .

﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ أى : لست بفظ ولا غليظ ، ولا يصدر منى قول ولا فعل ينافى أمر الله وطاعته ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾) انتهى .

معجزات أخرى لعيسى عليه السلام :

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين :

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ۞ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ .

[المائدة : ١١٠ - ١١١] .

قال ابن كثير :

(يذكره تعالى بنعمته عليه ، وإحسانه إليه في خلقه إياه من غير أب بل من أم بلا ذكر ، وجعله له آية للناس ودلالة على كمال قدرته تعالى ثم إرساله بعد هذا كله .

﴿ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ ﴾ في اصطفائها واختيارها لهذه النعمة العظيمة ، وإقامة البرهان على براءتها مما نسبها إليه الجاهلون .

ولهذا قال : ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ وهو جبريل بإلقاء روحه إلى أمه وقرنه معه في حال رسالته ومدافعته عنه لمن كفر به .

﴿ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً ﴾ أي : تدعو الناس إلى الله في حال صغرك في مهدك وفي كهولتك .

﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ أي الخط والفهم نص عليه بعض السلف

والتوراة والإنجيل .

وقوله : ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي ﴾ أى تصوره وتشكله من الطين على هيئته عن أمر الله له بذلك ﴿ فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ﴾ أى بأمرى يؤكد تعالى بذكر الإذن له في ذلك لرفع التوهم .

وقوله : ﴿ وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ ﴾ .

قال بعض السلف : وهو الذى يولد أعمى ولا سبيل لأحد من الحكماء إلى مداواته ﴿ وَالأَبْرَصَ ﴾ هو الذى لا طب فيه بل قد مرض بالبرص وصار داؤه عضالا .

﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ ﴾ أى من قبورهم أحياء بإذنى .

وقوله : ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ وذلك حين أرادوا صلبه فرفعه الله إليه وأنقذه من بين أظهرهم صيانة لجنابه الكريم عن الأذى وسلامة له من الردى .

وقوله : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ .

قيل : المراد بهذا الوحى وحى إلهام ، أى : أرشدهم الله إليه ودلهم عليه كما قال : ﴿ وأوحى ربك إلى النحل ﴾ ، ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ﴾ .

وقيل : المراد وحى بواسطة الرسول وتوفيق في قلوبهم لقبول الحق ، ولهذا استجابوا قائلين : ﴿ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ وهذا من جملة نعم الله على عبده ورسوله عيسى ابن مريم أن جعل له أنصارا وأعوانًا ينصرونه ، ويدعون معه إلى عبادة الله وحده لا شريك له) انتهى .

معجزة المائدة :

وهذه معجزة أخرى من معجـزات نبى الله عيسى التى أيده بها ردًا على قومه الذين طلبوا مائدة من السماء فدعا ربه فأنزلها .

قال الله تعالى : ﴿ **إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ** ﴾ [المائدة : ١١٢ - ١١٥] .

قال ابن كثير :

ومضمون ذلك أن عيسى عليه السلام أمر الحواريين بصيام ثلاثين يومًا ، فلما أتموها سألوا من عيسى إنزال مائدة من السماء عليهم ليأكلوا منها وتطمئن بذلك قلوبهم ، أن الله قد تقبل صيامهم وأجابهم إلى طلبتهم وتكون لهم عيدا يفطرون عليها يوم فطرهم ، وتكون كافية لأولهم وآخرهم لغنيهم وفقيرهم ، فوعظهم عيسى في ذلك وخاف عليهم أن لا يقوموا بشكرها ولا يؤدوا حق شروطها ، فأبوا عليه إلا أن يسأل لهم ذلك من ربه عز وجل .

فأنزل الله تعالى المائدة من السماء والناس ينظرون إليها ، تنحدر بين غمامتين وجعلت تدنو قليلاً قليلاً ، وكلما دنت سأل عيسى ربه عز وجل أن يجعلها رحمة لا نقمة وأن يجعلها بركة وسلامة) انتهى .

معجزات النبى ﷺ

وإليك أخي القارئ على الصفحات القادمة بعض معجزات نبينا ﷺ والتى كانت نوراً اهتدى بسببها كثير من العباد ، وزادت إيمان قوم مؤمنين ، وكانت حسرة على الكافرين في عهده ﷺ .

وقد انتهت جميعاً ولم يبق إلا المعجزة الخالدة إلى أن تقوم القيامة ، ويرث الله الأرض ومن عليها ألا وهى معجزة القرآن الكريم الذى بين أيدينا الآن ، وإليك البيان والتوضيح لكل معجزة على حدة . والله المستعان .

١ - القرآن الكريم المعجزة الخالدة :

قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : ١٩٢] .

والآيات في فضل القرآن وما فيه من عبر ومعجزات سواء لغوية أو كونية أو تشريعية .. إلخ كثيرة ومتعددة ، يقف أمامها العقل مبهوراً ومندهشاً .

ولكن ماذا قال أعداء الدين عن معجزة القرآن ، والحق هو ما شهد به الأعداء .

جاء في البداية والنهاية لابن كثير ما مختصره :

(قال عتبة بن ربيعة : يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا ، فقالوا : بلى يا أبا الوليد ،

فقم وكلمه ، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من الشطر في العشيرة والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم . .

يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا شرفًا ، سودناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك ، وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى به . . حتى إذا فرغ عتبة .

قال له ﷺ : « أفرغت يا أبا الوليد » ؟ قال : نعم . قال : « اسمع منى » ﴿ حمٓ ۞ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت : ١ - ٣] .

فمضى رسول ﷺ يقرأها ، فلما سمع بها عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلفه، أو خلف ظهره ، معتمدًا عليها ليسمع منه ، حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجدها ، ثم قال : « سمعت يا أبا الوليد ؟ » . قال : سمعت . قال : « فأنت وذاك » .

ثم قام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به .

فلما جلسوا إليه قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائى أنى والله قد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بشاعر ولا الكهانة ، يا معشر قريش أطيعونى واجعلوها بى ، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو واعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ ، فإن تصيبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ،

وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بد لكم) انتهى .

وللقرآن إعجاز دائم ومتجدد وهي معجزة نبينا ﷺ الخالدة الباقية ، لأن كل معجزات الأنبياء تنتهي بانتهاء السبب ومرور الزمن إلا القرآن فما زال إعجازه العلمي والتشريعي والبلاغي يثير كوامن الإبهار في النفس البشرية ممن آمنت بالإسلام أو لم تؤمن به .

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من الأنبياء نبي إلا وأعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة » . .

وإليك بعض صور الإعجاز في القرآن لتدرك عظمته ، والله المستعان .

صور من إعجاز القرآن الكريم :

١ - إعجاز القرآن العلمي :

قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ .

[النساء : ٥٦] .

وهذه الآية من إعجاز القرآن وها هو : تاجاثان تاجاسن - عميد كلية الطب بجامعة تشان ماي بتيلاند ، وأشهر علماء العالم في علم التشريح تثير عجبه

ودهشته هذه الآية . .

لماذا ؟

لأنه ثبت علميًا أن النهايات الحساسة في الجلد إذا دمرت بالحرق مثلا فإن الإنسان لا يشعر بالنار وذلك لأن مركز الألم في المخ لا يتنبه لهذا الألم إلا بوجود النهايات الحساسة .

فكان قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ [النساء : ٥٦] .

دليل على إعجاز القرآن قبل أن يكتشف العلم هذه الحقيقة وذلك بتغير جلود الكفار ليستمر الشعور بألم العذاب بالنار والعياذ بالله منها .

٢ - إعجاز القرآن التشريعى :

قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

[البقرة : ١٧٩] .

وقال ابن كثير في تفسيره :

(يقول تعالى وفي شرع القصاص لكم وهو قتل القاتل حكمة عظيمة وهى بقاء النفس وصونها لأنه إذا علم القاتل أنه يقتل انكف عن صنيعه فكان ذلك حياة للنفوس) انتهى .

٣ - إعجاز القرآن البلاغى :

لقد تحدى الله تعالى ، الجن والإنس في أن يأتوا بمثله ، فعجزوا وما استطاعوا .

قال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

ثم تحداهم مرة أخرى بأن يأتوا بسورة منه فما استطاعوا .

قال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ ﴾ [هود : ١٣] .

وعلى الرغم من بلاغة العرب وفصاحتهم فقد عجزوا أمام القرآن وبلاغته أن يأتوا بمثله أبداً .

وصور الإعجاز في القرآن كثيرة ما يضيق المقام في هذه العجالة ، ولكن يبقى أن نقول أن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة الباقية الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، نزل به سيدنا جبريل أمين الوحى على سيدنا رسول الله ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور . وهو الهادى إلى صراط الله المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تنقضي عجائبه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

٢ - معجزة الإسراء والمعراج :

قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

[الإسراء : ١] .

نعم .. معجزة الإسراء والمعراج من المعجزات الكبرى التى أيد الله بها نبينا ﷺ ، فقد أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، بجسده على الصحيح .

كما قال ابن القيم - رحمه الله - في زاد المعاد : راكبًا على البراق ،

وصحبه جبريل عليـه السلام وصلى في رحلته بالأنبياء إمامًا ، ورأى من آيات ربه ما رأى .

٣ - معجزة انشقاق القمر :

قال تعالى :

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ [القمر : ١ - ٣] .

قال ابن كثير في البداية والنهاية : (وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام ، وجاءت بذلك الأحـاديث المتواترة من طرق متـعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها) انتهى .

ومن هذه الأحاديث المتواترة ما رواه البخارى ومـسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قـال : (انشق القمـر على عهد الـنبى شقين ، فقـال النبى ﷺ : اشهدوا) . .

وروى البـخارى ومـسلم عن قتـادة عن أنس بن مـالك رضى الله عنه ، أنه حـدثهم : « أن أهل مكة سألوا رسـول الله ﷺ أن يريهم آية ، فـأراهم انشقـاق القمر) . . واللفظ للبخارى .

وجاء في شرح النووى رحـمه الله ما نصه : (قال القاضى : انشـقاق القمر من أمهـات معجزات نبـينا ﷺ وقد رواها عدة من الصـحابة رضى الله عنهم من ظاهر الآية الكريمة وسياقـها . قال الزجاج : فقد أنكرها بعض المبـتدعة المضاهين المخالفى الملة وذلك لما أعمى الله قلبه . ولا إنكار للعقل فيها ؛ لأن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في آخر أمره) انتهى .

٤ - معجزة شق الصدر :

أخرج مسلم في صحيحه عن مالك رضى الله عنه قال : إن النبى ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ، أى : ضمه بعضه إلى بعض ، ثم أعاده في مكانه .

وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعنى ظئره) فقالوا : إن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون (أى متغير اللون) .

قال أنس : قد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره .

٥ - تسليم الحجر عليه قبل النبوة :

روى مسلم عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث ، إنى لأعرفه الآن) .

قال الإمام النووى ما مختصره : فيه معجزة له ﷺ ، وفي هذا إثبات التميز في بعض الجمادات وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة : ﴿ **وإن منها لما يهبط من خشية الله** ﴾ انتهى .

٦ - معجزة نبع الماء من بين أصابعه :

روى مسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر ، فالتمس الناس الوضوء ، فلم يجدوه فأتى رسول الله ﷺ بوضوء ، فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده ، وأمر الناس يتوضؤوا منه ، قال : فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه ، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم) .

قال النووى في شرح الحديث ما مختصره : (وفي كيفية هذا النبع قولان حكاهما القاضى وغيره : أحدهما أن معناه أن الماء كان يخرج من نفس أصابعه ﷺ ، وينبع من ذاتها قالوا وهو أعظم في المعجزة من نبعه من حجر والثانى يحتمل أن الله كثر الماء في ذاته فصار يفور من بين أصابعه لا من نفسها وكلاهما معجزة ظاهرة وآية باهرة) انتهى .

٧ - حنين الجذع له ﷺ :

روى البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : (أن النبى ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة ، فقالت امرأة من الأنصار أو رجل يا رسول الله ألا نجعل لك منبراً ؟ قال : « إن شئتم » .

فجعلوا له منبراً ، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر ، فصاحت النخلة صياح الصبى ، ثم نزل النبى ﷺ فضمه إليه ، يئن أنين الصبى الذى يسكن ، قال كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها) .

وفي رواية أخرى عن ابن عمر رضى الله عنهما ، وكان النبى ﷺ . . . فلما اتخذ المنبر تحول إليه ، فحن الجذع ، فأتاه فمسح يده عليه) رواه البخارى أيضًا .

٨ - معجزة تكثير الطعام للقوم :

روى البخارى ومسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال أبو طلحة لأم سليم لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء ؟ قالت نعم ، فأخرجت أقراصًا من شعير ثم أخرجت خماراً لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدى ولاثتنى ببعضه (أى لفتنى به) .

ثم أرسلتنى إلى رسول الله ﷺ قال : فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ

في المسجد ، ومعه الناس فقمت عليهم .

فقال لى رسول الله ﷺ : « أرسلك أبو طلحة » .

فقلت : نعم . قال : « بطعام » . قلت : نعم .

فقال رسول الله ﷺ لمن معه : « قوموا » .

فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته .

فقال أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس ، وليس عندنا ما نطعمهم . فقالت : الله ورسوله أعلم .

فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ ، وأبو طلحة معه ، فقال رسول الله ﷺ : « هلمى أم سليم ما عندك » .

فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله ﷺ ففت ، وعصرت أم سليم عليه فأدمته .

ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول ، ثم قال : « ائذن لعشرة » .

فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا .

ثم قال : « ائذن لعشرة » ، فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا .

ثم قال : « ائذن لعشرة » ، فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا .

ثم قال : « ائذن لعشرة » ، فأكل القوم كلهم حتى شبعوا ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً) وهذا لفظ البخارى .

❊ ❊ ❊

الفهرس